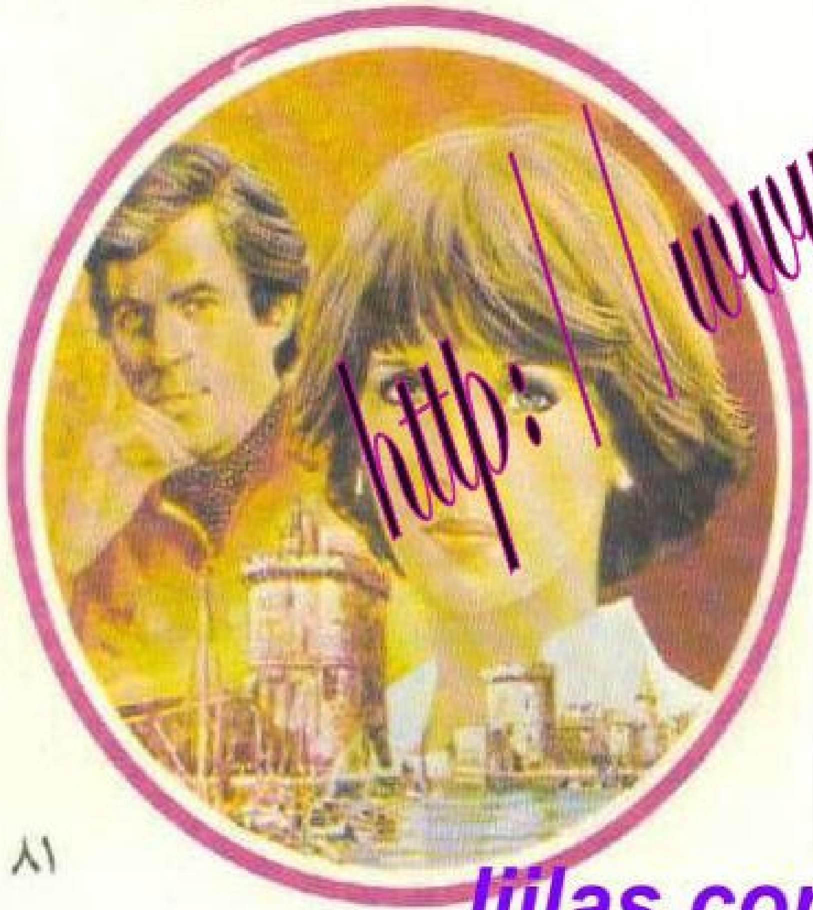
روايات عبير



سارة كريفن

المنبوذة



٨١

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 81

المنبوذة

أي انسان يستطيع اهرب من قدره؟ موروينا ماتت والدتها وهي في الثامنة من عمرها. وفي الثامنة عشرة قتل والدها وشقيقها في حادث سيارة. فجأة اصبحت وحيدة، يتيمة ومنبوذة من اقاربها الذين استولوا على جميع الاملاك.

البيت الذي ترعرعت فيه طردت منه لتقف وجهاً لوجه امام عاصفة الزمان. الى اين تذهب وهي لا تملك سوى عنوان رجل عجوز عرفته امها في صباها. هل تذهب اليه؟ ولكنها لا تعرفه! تحتاج الى ملجأ، الى سقف يقيها امطار التشرد ورياح الضياع، وفي قصر دومنيك كان نوع اخر من العذاب في انتظارها. الكره والعداء واللامبالاة صفات ثلاث استقبلت موروينا في قصر الأسرار. فهل تدخل ام ترحل هائمة على وجهها؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
HIGH TIDE AT MIDNIGHT

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - رياح الواقع

«اريد أن اوضح امراً واحداً منذ البداية. لا يمكنها البقاء هنا».

جاء صوت الليدي كير سلاك قوياً واضحاً من خلال الباب المغلق لغرفة الجلوس، مسمراً موروينا في مكانها ويدها ممتدة لتدق الباب. تدافعت الافكار الى رأسها وهي تستعيد كلمات ابنة العم باتريسيا ورأت أن من الأفضل لها ان تستدير وتبتعد متظاهرة بأنها لم تسمع شيئاً ومعللة نفسها بأن مسترقي السمع عادة، لا يسمعون شيئاً حسناً عن انفسهم. لكنها عرفت في الوقت نفسه، انه ليس في مقدور شيء ازاحتها عن مكانها خطوة واحدة. وسيكون مبعث راحة لها ان تكتشف حقيقة مشاعر ابنة عمها نحوها على عكس معاملتها اللطيفة لها حتى الآن. قالت فاليسا بصوت خفيض ولكن نافذ الصبر:

«أوه، أماه. ليس من السهل ان تلقي بها الى الشارع. انها لا تملك اي تدريب او مؤهلات. وتعرفين مثلي انها ضيعت وقتها في المدرسة. ما الذي ستستطيع فعله على وجه الأرض؟».

أجابت الليدي كير سلاك ببرود:

«ليس ذلك خطأنا. هي التي اضاعت الفرص التي اتيحت لها، فليس من حقها الشكوى الآن اذا لم يتحملها احد بعد. كان على ابيها وهو يدرك مدى تعقد قضية الميراث، ان يترك لها احتياطاً من المال وهو ما يزال حياً».

«ربما انت على حق، لكن كان من المستحيل ان يتنبأ بأنه ومارتين سيقتلان معاً في الحادثة نفسها. كان مارتين هو الوريث، لذا كان هو من سيعتني بأمر مورووينا».

احست مورووينا وهي تقف في الصالة جامدة، بطعنة الم من هذه الكلمات، لكن فانيسا كانت على حق. لم يكن بامكان احد التنبؤ حتى قبل اسابيع قليلة فقط، بأنها ستبقى وحيدة تماماً في هذا العالم قبل ان يحل الظلام في ذلك اليوم الخريفي المشرق. لقد قتل والدها وشقيقها معاً في حادث اصطدام مع شاحنة، تعطلت فراملها فجأة على سفح تل شديد الانحدار خارج القرية.

كانت تعرف بالطبع انها لا تستحق الارث، وطالما اسفت هي ومارتين من الاصرار في هذا العصر على ان تكون السيادة للذكور، وان تنحدر رتبة الوراثة والملكية من خلالهم فقط. لكنها لم تشغل نفسها بأمر المستقبل وهي في الثامنة عشرة من عمرها. كانت تجد في ظل ابيها وشقيقها مارتين الطمأنينة دائماً. الى ان حل ذلك اليوم، حين ارتها ريح الواقع كم كان هشاً ملجأها. كان المحامون عطوفين جداً. شرحوا لها كل شيء بدقة وتفصيل، ومنه، ان ما ورثه ابن

العم جيوفري، زوج ابنة العم باتريسيا، لم يكن بالمبلغ الكبير. وعلمت ولأول مرة ان والدها كان مضارباً في البورصة، وعانى من خسائر كبيرة. غير ان السيد فرنشارد كان يأمل في تعويض هذه الخسائر لاحقاً، اذ كان يثق بفطنته في مجال عمله. لكن القدر لم يمهله طويلاً. خلال الاسابيع التي تلت حادثة ابيها واخيها. شعرت مورووينا بأنها تعيش في وسط غريب عنها. وتضاعف احساسها هذا مع وصول ابن العم جيوفري وزوجته المستبدة باتريسيا.

عرفت ان باتريسيا توقعت ان تجد نفسها بين عشية وضحاها امرأة ثرية، ورغم انها اصبحت (الليدي كير سلاك) واحتلت المنزل، الا ان ذلك كان اقل مما كانت تأمل فيه. لكن مورووينا خمنت بذكاء، ان حصولها على المنزل، وهو بيت ثمين من عهد الملكة آن، سيمنحها بعض السلوى. غمرت الليدي كير سلاك، مورووينا بحنانها في الأيام الأولى، لكن مع الوقت اخذ سلوكها يتغير. وهذا لا يعني انهما كانتا على مودة في السابق. فمورووينا لم تكن على وفاق حتى مع فانيسا، مع ان والدها كان قد اصر على ان تدخلا المدرسة نفسها معاً، وانفق مبلغاً كبيراً على دراستها. ولقد استغربت منذ ذلك الوقت كون فانيسا قد حقدت عليها لهذا السبب، أو لأنها كانت متفوقة عليها في الدروس. ومهما يكن السبب فعدوانية فانيسا اضحت واضحة مع الزمن، ولم تبد الا القليل من اللين نحوها منذ وصولها الى كاربو بربوري. بل على العكس، شعرت ان فانيسا تأمل بفرح التحول الذي حدث في حياتهم. اما هي فقد اصبحت اكثر حذراً في حديثها وسلوكها، متأكدة دائماً من ان السيدة ابرشو، مدبرة المنزل قد ذهبت الى الليدي كير سلاك لتتلقى تعليماتها، ومتذكرة ايضاً ان تدق الباب قبل ان تدخل الغرف حيث تكون العائلة مجتمعة. فجأة تحولت الى

غريبة في بيتها. كانت الليدي كير سلاك تكرر القول بحدة:

«لا ادري لم اصبحت شديدة الاهتمام بها يا فانيسا. انت لم تهتمي بها في يوم من الأيام، بشكل خاص».

«انا لست مهتمة بها حتى الآن. لكن علينا ان نهتم بما سيقوله الناس، خاصة ان اباها ومارتين كانا محبوبين بين اهالي المنطقة. علينا ان لا نبدأ السير بخطوة خاطئة».

قالت الليدي كير سلاك متنهدة:

«بالطبع لا. يا لها من مشكلة. لم اكن اعرف ان هذه الطفلة الحقيرة ستبقى تتسكع هنا بدون هدف. الم يكن هناك حديث عن مدرسة للرسم؟».

«هناك دائماً حديث عن شيء ما يشغل موروينا. لكن انت على صواب، اظن ان من المفروض ان تلتحق هذا الشهر بمدرسة لينوكس كريستي في كاركاسون، اذا ما قبلها هذا، خاصة بعد ان اصبحت مسألة الأجور صعبة بالنسبة اليها».

اطبقت اصابع موروينا المرتعشة، على الرسالة التي دستها في جيب سترتها قبل اقل من نصف ساعة. فقد لمحت من نافذة غرفتها، ساعي البريد مقبلاً، وانتابها هاجس بما كان يحمله لها. ونزلت مسرعة اليه. فالرسائل تؤخذ جميعها الى باتريسيا قبل توزيعها على اصحابها. وموروينا عرفت ان الرسالة تحمل طابعاً فرنسياً ستثير فضول ابنة عمها بدون شك.

ها قد تحقق هاجسها بالشر. حدثت نفسها بيأس. يبدو ان لفانيسا القدرة على قراءة الغيب. كانت رسالة لينوكس كريستي قاسية الوقع عليها رغم رقتها، جاء فيها ان الأعمال التي عرضتها عليه في مقابلتها في لندن، كانت غير كافية لمنحها مقعداً مجانياً في

مدرسته. لكنه في اي حال، سيعود الى لندن الربيع المقبل وبمقدورها ان تتصل به وتطلعه على اي عمل جديد تكون قد انجزته. وربما سيقرر موقفه منها من جديد.

كانت خيبة اخرى لها. وادركت ان عرضه هذا ليس سوى مرهم وضع على كبريائها الجريح. ورغم انها ورثت بعضاً من موهبة امها المتوفاة، وانها تلميذة مجتهدة في المدرسة، الا انها تشك في قدرتها على المواصلة في عالم الفن الذي يعج بالمنافسة الشرسة. واليأس هو الذي دفعها الى مناشدة لينوكس كريستي للحصول على مقعد مجاني في مدرسته. ولم تذكر اسم امها له، اذ بدا ذلك عديم الفائدة. لقد ماتت لاورا كير سلاك منذ اكثر من عشرة اعوام، وهي لم ترسم الا القليل بعد ان انجبت اطفالها، بالاضافة الى ان اعمالها كانت تنتمي الى الطراز القديم.

قالت باتريسيا بما فيه الكفاية عن تلك الأعمال حالما وصلت الى كاريو بريوري. وتكاد موروينا تكون على يقين، من ان رسومات امها المعلقة في ارجاء البيت، سترمى قريباً في احد الأقبية لتحل محلها لوحات من غاليري في لندن ترتاده باتريسيا. تمنت موروينا ان تكون قد تركت بريوري قبل ان يحدث ذلك. لم يعد بقاؤها مرغوباً فيه بأي حال. وهذا ما جعل ألمها مضاعفاً حين سمعت الآخرين يتناقشون في امرها وكأنها عالة عليهم. ادركت دائماً ان عليها العثور على عمل ما، لهذا كانت في طريقها لتسأل بذل، ابنة العم باتريسيا فيما اذا كانت هناك اية امكانية للعمل في ذلك الغاليري. لكنها وفرت على نفسها موقف الاستجداء هذا. كانت فانيسا التي تتكلم ثانية:

«وهل انت متأكدة انها تتسكع هنا بدون هدف؟ كانت لا تفارق غاي قبل ان يحدث ما حدث. ربما انها تأمل في احياء علاقتها به

ثانية».

اطلقت ام غاي ضحكة عالية وهي تقول:

«لا اظن انها ساذجة الى هذا الحد. ربما اهتم بها غاي حين كان روبرت ومارتين احياء. لكن الظروف تبدلت الآن كثيراً. غاي ليس غبياً. انها فتاة جميلة، انا اقر بذلك، اما اذا كانت تأمل منه في شيء اكثر من متعة عابرة فاخشى ان تصاب بخيبة امل. يستطيع غاي ان يجد لنفسه من هي افضل من ابنة عم معدمة الحال».

قالت فانيسا بنبرة ساخرة:

«اماه...».

لكن موروينا لم تنتظر لتسمع المزيد. استدارت واسرعت الى غرفتها عبر الصالة المفروشة بسجاد ثمين.

منذ الاسابيع القليلة الماضية، اضحت هذه الغرفة مأواها. انها غرفة الجلوس الصغيرة التي كانت تخص امها. وهي من الأماكن القليلة في البيت التي لم تمتد يد باتريسيا اليها بالتغيير بعد. اغلقت موروينا الباب وراءها والقت بنفسها على المقعد الطويل، ثم اطلقت دموعها الغزيرة.

ها هي الآن تعاني الأسى والذل والغيظ معاً، وهالها التفكير انه ما كان هناك الا القليل حتى تنجرف في حب غاي. لم يكونا مهتمين ببعضهما حين كانا صغيرين. وبعد اعوام التقيا في احدى الحفلات في الصيف الماضي، وتعرفا على بعضهما بصعوبة، لكن سرعان ما اخذتهما العاطفة، او هذا ما ظنته هي. وعليها الآن ان تعترف بانها هي التي افتتنت بغاي، اما هو فكان يأمل في شيء اخر. عضت اطراف اصابعها. ها هي الأمور اخذت تتكشف، انها لم تر غاي منذ وفاة ابيها واخيها الا مرات قليلة. انه منهمك في اشغاله ولا يأتي الى

بريوري الا في نهايات الاسبوع، لكنه حتى في هذه المرات لم يبد اهتماماً كبيراً بها. كانت تعلل عدم اندفاعه نحوها بأنه احترام منه لحزنها. لكن الحقيقة ظهرت الآن، وهي انه لم يعد هناك شيء يأمل في كسبه منها.

كانت تستغرب احياناً، لماذا كان غاي يسحب نفسه منها وهما في ذروة العاطفة، ألقدرته على كبح جماح نفسه ام لنفوره منها؟ ومهما كان السبب فقد كان كافياً لأن يقيم حاجزاً بينهما طيلة الصيف.

وغاي موضوع خلافها مع اخيها. فمارتين لا يميل الى غاي ولا يحبذ سلوكه في السخرية من كل من هو خارج حلقته الجذابة. والآن عليها الاعتراف بأن مارتين لم يكن مجرد اخ صارم، بل كان اكثر ذكاء مما تصورته. إن مما دفعه لابعادها عن طريق غاي هو قلقه عليها.

انها على يقين بمدى جمالها وجاذبيتها بدون غرور، وان هناك قلة ممن يستطيعون مقاومة اغراء شعرها الحريري الاصفر الذي يتوج رأسها في عقدة رخوة، وعيونها الرمادية الواسعة بأهدابها السوداء. وظنت ان هذا ما اوقع غاي في هواها. ولم يخطر في بالها انه كان لابن عمها هدف خفي آخر.

«يا لي من غبية» همست بصوت مسموع وهي تضغط بيديها المضمومتين على عينيها الدامعتين. ثم اردفت «يا لي من حمقاء».

اخيراً تمددت هادئة، تتنهد بين حين واخر. شعرت بانها انهكت جسدياً ونفسياً، وجرحت في اعماقها ايضاً.

ستترك بريوري وبسرعة. هذا ما قررته. لكن الى اين؟ حتى مدرسة الرسم التي كانت تبدو ملاذاً محتملاً، قد سلبت منها. والبقية الباقية من كبريائها تمنعها من سؤال باتريسيا عن اي عون. جلست في مكانها ضجرة. وابعدت عن وجهها خصلات شعرها المتهدلة،

بينما تجولت نظراتها الحزينة في انحاء الغرفة حتى استقرت مع وخزة الم على بعض قطع الأثريات التي اختارتها امها لهذه الغرفة حين جاءت الى بريبوري لأول مرة عروساً. وعلى الموقد المرمري الأبيض علقت محاولة لاورا كير سلاك الوحيدة في رسم صورة شخصية لنفسها قبل وفاتها بسنوات قليلة. توقفت نظراتها عندها، الوجه الصافي، العينان المرحتان، الفم المدور والمنحرف قليلاً بطرف. ثم انتقلت الى مجموعة المناظر الطبيعية على الجدار الآخر. هنا تبدو روح لاورا كير سلاك حاضرة تماماً. كانت تطلق على هذه الرسوم مجموعة تريفيتون. وهي مشاهد رسمتها امها عن المكان الذي قضت فيه صباها. وبالرغم من انها ولدت وعاشت سنواتها الأولى في لندن، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية دفع والديها الى البحث عن مكان آمن لها. وهكذا سافرت لاورا في اول شبابها الى كورنوول لتمكث عند بعض الأقرباء. وعندما علمت ان والديها قد قتلا في غارة جوية اصابت بيتهم، ظلت هي هناك ولم تعد الى لندن بعد ذلك ابداً.

نهضت مورووينا وسارت لكي تتأمل الصور عن قرب. تبدو هذه المجموعة من بين جميع رسومات امها، مشبعة بعنصر شؤم غامض. كانت مورووينا وهي صغيرة، تحدّق في البيت الكبير الداكن اللون، القائم على قمة المنحدر الصخري، بأبراجه ومداخنه الطويلة، وتستحضر في خيالها اليافع شخصية كاميلوت في قصة تريستان وايزولت من خلال تلك الصخور الكئيبة. وكانت امها تضحك من خيالاتها تلك وتقول ان تريفيتون هي موطن عمال المناجم، وليست موطناً للفرسان والسيدات الاسطوريات. عرفت مورووينا ان الشاطىء، هناك قد تحول الى مرمى لنفايات المناجم، وان الأبنية والمداخن المتهدمة ما تزال باقية كشواهد على عصر مزدهر

غابر. قالت امها ان تريفيتون قامت في مرحلة الازدهار تلك.

وحين تعود مورووينا بذاكرتها الى الوراء، تجد ان امها لم تقل الشيء الكثير عن حياتها في كورنوول.. كانت تبدو سعيدة هناك، او هذا ما استنتجته من احاديثها. الى جانب هذا فإن اسمها كورنوولي عريق، اختارته امها باصرار بعد ان عارضه الأب تحسباً من اثارة ذكريات حزينة، ووصف زوجته بانها «رومانسية». رغم انه خضع في النهاية لارادتها كعادته دائماً. واستعمل العبارة نفسها كما تتذكر مورووينا، حين تتأمل مجموعة تريفيتون من اللوحات: البيت فوق قمة المنحدر، المنجم المهجور، القرية الصغيرة في مرفأ بورت فيتور، والساحل بصخوره الدكناء الشامخة كأنها حراس من العرانيت تقاوم هجوم الأمواج العنيفة.

استعادت مورووينا وجه امها، وهي تخاطب زوجها، وكأنها البارحة:

«لماذا تقول هذا؟ لم اكن ارسم مجرد مكان. كنت ارسم شبابي وكل ما عرفته من سلام وطمأنينة وحب».

ثم نهضت وسارت اليه واحاطته بذراعها وارتاحت خدها على يده، وهي تقول له:

«اعرف انك على حق، لكن دعني لأوهامي».

حين اعادت مورووينا تلك الكلمات مع نفسها ثانية، انتابتها رعشة خفيفة، وفكرت بحزن ان تلك الكلمات ما هي الا نقوش على ضريح أمالها. ومن ثم جمدت في مكانها حين سمعت وقع خطوات قادمة عبر الممر. استدارت حين انفتح الباب ودخلت الليدي كير سلاك، وهتفت بشيء من الحدة:

«اوه انت هنا يا مورووينا. لقد بحثت عنك في كل ارجاء البيت،

كنت اتساءل فيما اذا كنت راغبة في الانضمام الينا للغداء».
سكتت مترددة للحظة ثم اردفت:
«اتصل غاي بالهاتف قبل قليل وقال انه سيجلب معه صديقة. وفكرنا. . .».
توقفت واخذت تحدق بوجه مورروينا بترقب.
عضت مورروينا شفتها. اذن سيجلب غاي معه آخر حبيباته للغداء، وامه تريد ان تعرف ماذا سيكون رد فعلها. هل ستقبل الامر بدون اهتمام، ام ستغضب وتثور. انتابها الغيظ، لكنها قالت متظاهرة باللامبالاة:
«لطيف جداً. . . لكن اذا كان وجودي يسبب اي ارباك فاني سأتناول وجبة خفيفة في الخارج».
ابتسمت الليدي كير سلاك برياء وهي تقول:
«اوه يا عزيزتي، هذا امر غير متوقع منك أبداً. كم انت حمقاء احياناً. بالطبع لا نريد ان تتدخل في شؤونك، فأنت امرأة ناضجة الآن، وطبيعي جداً ان ترغبي في ان تكوني مستقلة. ولا نريد ان نجعلك تشعرين بأننا نكبح رغباتك بأي شكل من الأشكال».
توقفت عن الكلام ثانية وفي صوتها شيء من اهتمام وقلق امومي، وكأنها تريد ان تكسب ثقة مورروينا. لكن مورروينا قررت ان لا تنخدع بها ولا للحظة. وحتى ولو لم تكن قد سمعت ذلك النقاش القصير في غرفة الجلوس، فانها ادركت ان نبرات باتريسيا ومواقفها كلها تكشف انهم تحملوها ما فيه الكفاية، وينتظرون رحيلها بفارغ الصبر.
فجأة أحست ان أعترافها بالعجز وموت امالها في ان تكون فنانة هو اكثر مما تستطيع تحمله.

قفزت الى ذهنها فكرة غريبة. وقبل ان تناقش مدى الحكمة فيها قررته، تكلمت قائلة:
«لا تقلقي بشأني بعد الآن، يا ابنة العم باتريسيا، قررت ان اخبرك بعد الغداء انني ذاهبة من هنا».
«الى اين؟».
هتفت الليدي كير سلاك.
«الحقيقة انني استلمت رسالة هذا الصباح فيها دعوة للبقاء مع اقرباء امي في تريفينون حتى يحل موعد ذهابي الى كاركاسون في الربيع. انها فرصة جيدة لي. كورنوول مكان رائع للفنانين، سمعت امي تكرر دائماً انها انجزت افضل رسومها هناك».
انهت كلامها بحنق وهي تفكر ان باتريسيا كانت متلهفة لسماع هذا الخبر. استقرت نظرات الليدي كير سلاك على مجموعة الصور البادية خلف مورروينا، ثم عادت لتحدّق في وجهها باستغراب قائلة:
«هل لأمك اقرباء في كورنوول؟ لم اكن اعرف ذلك. . .».
قاطعتها مورروينا قائلة:
«اقرباء بعيدون جداً. . . الله وحده يعرف كم عددهم».
ثم بحثت في ذاكرتها عن اسماء لتسند روايتها:
«انه الخال دومنيك الذي بعث الرسالة».
كان هذا هو الأسم الذي تكرره امها دائماً: دومنيك من علّم ابنة المدينة تسلّق الصخور حافية القدمين، تجذيف القارب، اصطياد السمك، وهو من قصّ عليها تلك الاساطير التي تذكرتها مورروينا، كقصص ما قبل النوم. قصص عن الاشباح الصغيرة التي تقطن منجم القصدير، والتي تتنبأ ضربات معاولها بحدوث الكوارث. قصص عن السفينة التي غرقت في المضيق خلال العواصف التي

لاحقت الاسطول الاسباني المنحوس، والذهب الذي غرق فيها.

«انها مفاجأة. . .».

قالت الليدي كير سلاك، ثم اضافت بعد لحظة:

«اظن انك تعرفين ما تفعلينه. لكن هل سبق أن التقيت بأحد من هؤلاء الأقارب؟».

«كلا، لكني احس بأني اعرفهم جيداً. لقد حدثتني امي كثيراً عنهم».

دست مورويتا يديها في جيوب سترها وهي تشعر بإثم كبير لهذا الكذب. قالت الليدي كير سلاك بخشونة:

«حسناً، انه لعطف كبير منهم ان يعرضوا عليك بيتاً. آمل الاّ تستغلي كرمهم يا مورويتا. انت لا ترضين ان تكوني عالة على الآخرين طوال حياتك. لكن اذا كان الأمر مجرد اسابيع فأظن انه لن يكون ثقيلاً».

توقفت للحظة ثم اضافت متسائلة:

«والآن، ماذا بشأن الغداء؟».

«ارجو الاّ تقلقي بشأني. اظن اني ساذهب لأحزم أمتعتي».

«مثلما تشائين».

قالت الليدي كير سلاك بدون ان تهتم باخفاء غبطتها من جريان الأمور بهذا الشكل. استدارت نحو الباب ثم ترددت وكأنها تذكرت شيئاً ما، وقالت:

«اذا كنت ترغبين في اخذ اي من هذه الرسوم، فلا ترددي في ذلك يا مورويتا. لقد اتفقنا انا وجيوفري الليلة الماضية انه من الأنصاف ان تحتفظي ببعض التذكارات من والدتك، رغم انه ليس هناك من نص قانوني يخولك بذلك».

«شكراً لك. . .».

«لا اقترح بالطبع ان تأخذي اياً من الصور التي في الطابق الاسفل، اما التي في هذه الغرفة فخذي منها ما تشائين. لا اعتقد ان الغرض من الاحتفاظ بالرسوم هو جودتها بأي شكل من الاشكال، وإنما بالطبع قيمتها العاطفية بالنسبة اليك».

كان وجه مورويتا جامد التعابير، وكلمات الشكر التي قالتها كانت مؤدبة. ويبدو ان امل الليدي كير سلاك في رؤية اية علامة ابتهاج على وجهها، قد خاب.

وحالما تأكدت ان الليدي كير سلاك قد ابتعدت، القت بنفسها على المقعد الطويل وجسدها يرتعش، وهي تحدّق في رسوم البيت الوحيد على الصخور الكئيبة.

حاولت جمع شتات افكارها. قبل كل شيء انها لم تقرر الذهاب الى كورنوول بعد، وقد ولد هذا الموضوع من وحي اللحظة لتنقذ به ماء وجهها امام باتريسيا. فليس لديها اي شيء هناك.

انتابتها موجة حنق، انها لا تريد العيش بين مجموعة من الغرباء، كما انها لا تعرف ايضاً فيما اذا كان دومينيك الذي طالما حدثتها امها عنه ما يزال حياً. واذا كان كذلك، فانه الآن في ستينات عمره على الأقل. والاعوام التي انفقتها امها في تريفينون امست الآن ذكريات بعيدة.

هزت رأسها ببطء. عليها ان تكف عن التفكير في هذا الأمر. الحقيقة هي انها الآن بدون مأوى. لكن ذلك ليس بكارثة. الكثير من الاصدقاء والصديقات يعيشون عن بيت الأهل لأسباب مختلفة، ومع هذا استمروا في العيش. وكان عدد من اسماء هؤلاء في دفتر

عناوينها بامكانها الاتصال وطلب العون منهم في حالة الضرورة. الكثيرون يشاركون بعضهم في السكن، وآخرون يتزوجون ويخلون اماكنهم.

لا بدّ ان هناكِ في مكان ما من يبحث عن فتاة اخرى ليكتمل عدد الساكنين. وحتماً هناك عمل ايضاً، قد لا يكون من الاعمال التي تطمح اليها، فتلك تتطلّب مؤهلات ومهارات. لكن عليها ان تجد اي عمل تضمن منه عيشها.

اما الدراسة فتستطيع الالتحاق بحصص المساء.

سيطرت على تقلصات ملامحها. لقد اضحى هناك مسافة واسعة بينها وبين ربيع جنوب فرنسا الذي طالما حلمت به. لكن عليها ان تلوم نفسها فقط. كان بمقدورها ان تقدم أعمالاً افضل من تلك التي أرتها للينوكس كريستي، لكنه [redacted] سيضمن لها مقعداً في مدرسته، وباختصار لم تجهد نفسها بالعمل، ولو حاولت الآن فان الأمر سيكون مختلفاً.

أخذت الرسالة المطوية من جيبها وأعادت قراءتها بتمهل. انها لا تحوي املاً اكيداً غير ان لينوكس يعرض عليها فرصة ثانية، وهي بدورها تحتاج للعمل بجد في الشهور القليلة القادمة حتى تقنعه بأنها تملك الاخلاص والمثابرة بالاضافة الى الموهبة، وانها ليست مجرد فتاة همها قضاء بضعة شهور في جو مشمس. نهضت ومشت الى النافذة، وتأملت مجموعة اشجار جرداء في الخارج وسط مرج اخضر. انها بحاجة لبضعة شهور لتنجز بعض الرسوم الجيدة، غير ان ما هو مهم الآن هو ايجاد سكن وعمل. اجرت بعض الحسابات الذهنية السريعة لكن النتائج كانت محبطة. ما عندها من مال قليل في البنك لا يكفي حتى تواصل تحقيق هذا الحلم الضعيف.

تنهّدت ثم القت نظرة حزينة الى الوراء حيث الصور المعلقة على الحائط تناشدها بقوة. اذا ما قررت ان تأخذ معها اياً من رسومات امها، فستكون هذه الصور والصورة الشخصية المعلقة فوق الموقد المرمري. لكن الله وحده يعلم ما الذي ستفعل بها، انها لا تقدر ان تتخيلها وقد علقت في شقة احدى صديقاتها كجزء من الديكور. ستحتفظ بها في مكان أمين حتى تعثر على بيت مستقل متى آن الأوان. توقفت بغتة وهي في طريقها الى الباب، وحدقت في الصور ثانية. ليس بمقدورها الادعاء ان لها بيتاً في تريفينون، لكن بالتأكيد انهم سيقبلون الاحتفاظ بالصور عندهم اكراماً لذكرى امها اذا ما شرحت الامر لهم.

انه مجرد حل مؤقت، وستكون الصور في مأمن هناك. انتابتها بعض الراحة حين عثرت على حل لواحدة من مشاكلها على الأقل، غير ان العثور على مثل هذا الحل الجاهز لما تبقى من مشاكلها يبدو مشكوكاً فيه. ومع هذا اتجهت الى غرفتها لحزم امتعتها وفي داخلها ومضة امل صغيرة.

الايام القليلة التي تلت لم تكن مريحة أبداً. ومع انها اعلنت تركها للمكان، الا انها شعرت بان الجو في البيت لا يمكن ان يطاق.

كانت بشكل عام قاسية في حزم امتعتها. فمعظم محتويات خزانة ملابسها اودعتها سوق الملابس المستعملة لبيعها بثمن بخس، واشياء اخرى عزيزة قدمتها الى مخزن للاحسان، ولم تحتفظ لنفسها الا بما هو اساسي جداً. غير ان هذا لم يحزنها قدر ما احزنها الرحيل بدون كتب الطفولة والاشياء الاخرى التي ما تزال تشغل غرفة نومها. كانت تأمل ان تنتقل هذه كلها الى اطفالها يوماً ما، لكن عليها الآن ان ترحل بأخف ما يمكن حمله. حشرت حاجياتها في حقيبة واحدة

كبيرة، بينما وضعت ادواتها للرسم في حقيبة اخرى قديمة. اخرجت مجموعة تريفينون من الرسوم والصور الشخصية لأمها من اطاراتها بعناية ووضعتها في رزمة انيقة تحت مراقبة الليدي كير سلاك.

تعقّدت الأمور اكثر مع وصول غاي وصديقته. كان شعرها اسود ومصففاً بعناية، وقهقهاتها تثير اشمئزاز موروينا، مع ان غاي لم يكن يرى في سلوكها شيئاً مشيناً. تحملت موروينا اذلالاً آخر ايضاً، ذلك ان غاي اخبر صديقته جورجينا بكل ما كان بينهما وربما باضافات من عنده. وكان ردّ فعل جورجينا هو معاملتها بنوع من الازدراء الممزوج بالشفقة مع الاحساس بالزهو من ان ما خسرته موروينا قد كسبته هي. عانت موروينا من هذا الوضع عاجزة عن فعل شيء، وادركت انه لا جدوى من محاولة اقناع جورجينا بان ما كان بينها وبين غاي لم يتعدَّ بداية علاقة، وهي لا تحاول برزانتها اخفاء الجرح الذي سببه لها. كانت تود حقاً ان تقول لها انها تبارك علاقتها بغاي، وهي فقط تشعر بالأسف لانها لا تملك من الذكاء ما يكفي لتعرف اهداف غاي الخفية منها. لكنها كانت موقنة ان جورجينا لن تصدقها.

ما اثار دهشة موروينا حقاً هو موقف ابنة عمها فانيسا. فمع اقتراب موعد رحيلها، اصبحت اكثر مودة معها، حتى عرضت عليها ان تأخذها بسيارتها الى محطة القطار. ومع ان موروينا قد قبلت عرضها الّا انها لم تخادع نفسها بانها عثرت على صديقة حميمة جديدة. وفكرت بان غاية فانيسا من اخذها الى محطة القطار هي التأكد من ذهابها فعلاً الى كورنوول، بالاضافة الى انها كانت تبحث عن رفقتها خلال ساعاتها الاخيرة في بريوري حتى تتجنّب جورجينا التي شعرت نحوها بكراهية واضحة وملفتة للنظر بشكل مربك.

عرفت موروينا ان الحياة في بريوري ستغدو قريباً اشبه بالجحيم،

خاصة اذا ما قرر غاي الزواج من جورجينا وبالتالي الحصول على نقود ابيها التي تتحدث عنها دائماً وبصراحة. وهذا ما خفّف من شعورها بالألم لابتعادها عن بيتها. ومع ذلك لم تستطع ان تحبس دموعها قبل ان تنام كل ليلة، ليس لما فقدته فقط بل من الخوف ايضاً. كانت تشعر باطمئنان حين تقول لنفسها بيقين ان لا احد يخشى الموت جوعاً في بلدها المترف هذا، لكن الحقيقة التي كانت تواجهها دائماً هي انها والى ما قبل اسابيع قليلة كانت مطمئنة ومحمية، بالرغم من انها لم تكن بحاجة لان تذكّر نفسها ان هناك آلافاً من الفتيات في عمرها في وضع أسوأ مما هي فيه. لكنها تشعر بوحدة قاسية وبخطورة وضعها غير الحصين. فبعد ان كانت محور حب العائلة ها هي قد اصبحت فتاة منبوذة تماماً.

انتابت موروينا راحة كبيرة حين حلّ يوم رحيلها. قالت عبارة وداع قصيرة للسيد جيوفري في المكتب الذي كان يخص والدها. وحين مدّ هذا اليها ورقة صك بمبلغ جيد وهو يتمتم ببعض الكلمات، ارتبكت واحمرّ وجهها غضباً وهي ترد بكلمة شكر مقتضبة. وحالما اصبحت خارج المكتب مزقت الصك الى قطع صغيرة والقتها في مزهرية خزفية كبيرة قائمة في الممر. اما الليدي كير سلاك فقد عادت الى عدوبتها السابقة، مانحة انطباعاً بان عناد موروينا فقط هو الذي يأخذها بعيداً عن بريوري. وتساءلت موروينا ساخرة وهي تضع خدها على الخد المعطر الآخر الذي امتد نحوها، ترى ما الذي سيكون ردّ فعل ابنة العم باتريسيا اذا اعلنت انها قد عدلت عن رأيها وقررت البقاء في بريوري.

كانت فانيسا تنتظر في الصالة بنفاد صبر، ولم تحاول مساعدة موروينا في حمل حقائبها، لكنها سارت بحيوية الى سيارتها وادارت

المحرك بينما ابنة عمها تضع حقائبها في الصندوق الخلفي. ثم صعدت مورووينا وجلست محدقة الى الامام، فنظرات الحسرة الى الوراء لا تورث سوى الحزن.

رمقتها فانيسا بنظرة جانبية، وقالت:

«انت مجنونة تماماً، تشتاقين الى كورنوول من بين كل الأماكن. ربما كان ذلك طبيعياً في الصيف، لكن ما اتعس كورنوول في الشتاء، يا الهي».

توقفت عن الكلام لبرهة، لكن لم تبدر من مورووينا اية استجابة. ثم استمرت:

«ظننت ان غاي سينزل لتوديعك، خاصة في مثل هذه الظروف».

انتظرت للحظة بدون ان تتلقى اي ردّ. وبدا الغضب في نبرتها قليلاً حين تكلمت ثانية:

«ربما فكر ان جورجينا المرعبة ستنزعج اذا ما اقدم على توديعك».

قالت مورووينا بهدوء:

«ليس هناك من داع لأن يسبب اي ازعاج».

«اوه. خففي من كبريائك قليلاً».

قالت فانيسا وهي تزيد من سرعة السيارة وتجتاز شاحنة كانت امامها. ثم استمرت في كلامها:

«تعرفين جيداً انك كنت تحبين غاي، وبالطبع ليس سهلاً ان ترينه مع فتاة اخرى. انا لا الومك ابداً في ذهابك الى مكان آخر لتلعقي جراحك. اظن انني كنت أفعل الشيء نفسه لو كنت في وضعك. لكن اذا كان هناك من عزاء لك فهو ان امي لا تحبّذ جورجينا، وهي تراقبها دائماً وتحاول ان تكون مهذبة معها. واعتقد انها بشكل ما كانت تفضلك لو ان غاي استقر عليك».

«شكراً لك».

قالت مورووينا بجفاف.

هزّت فانيسا كتفها قائلة:

«اوه، انت تفهمين ما اعنيه. ومع هذا فأنت احبته الى حد ما، لكنه سحب نفسه».

قالت مورووينا وهي تسيطر على انفعالاتها بصعوبة:

«وبدون ان يجعل مني زوجته المخلصة. اتعنين هذا؟ اهذا كل ما تفكرين به؟».

رمقتها فانيسا بنظرات مضطربة، وقالت:

«لا أقصد ذلك، لكن غاي هو الآن مع جورجينا، وهذا تصرّف وقح وهذا...».

رسمت مورووينا على وجهها ابتسامة وهي تقول:

«ولهذا فأنتم تفترضون جميعاً بأني فعلت معه الشيء نفسه، وبالسهولة نفسها. لا استطيع ان أتظاهر بأني مدعية، اوربما ان غاي يختار سهلات الانقياد عادة».

اجابت فانيسا ساخرة:

«حسناً، لنقل انه لم يكن ينفق الكثير من وقته على الخائفات».

عضّت مورووينا شفتها قائلة:

«هكذا اذن».

ثم صمتت برهة وهي تفكر في ايها اسوأ: الادعاء بانها كانت خليلة غاي المطواعة، ام انها لم تكن ذات جاذبية كافية حتى يقدم على اغوائها.

لقد فضلت ان لا تكون هذا ولا ذاك. اطلقت ضحكة وقالت وهي تحشر يديها في جيوب سترتها حتى تخفي ارتعاشتها:

«في الحقيقة كانت علاقتنا قائمة على منفعة متبادلة اكثر من اي شيء آخر».

ثم استطردت بعد توقف قصير:

«كلانا كان يبحث عن شخص يسنده. وانا لا الوم خالي في اختياره النساء الثريات. وها انا افعل الشيء نفسه تقريباً».

«انت؟».

هتفت فانيسا وهي تحدّق فيها، ثم اردفت:

«لا اصدقك».

اتسعت ابتسامة مورروينا وهي تقول:

«حسناً، دعيني اقول انني لست ذاهبة الى كورنوول لمجرد النزهة».

«لا؟ هل هناك رجل؟».

سألت فانيسا وقد صدّقت كلام مورروينا. اطلقت مورروينا ضحكة واثقة وأجابت:

«بالطبع هناك رجل، وإلا لما تحمّلت مشاق السفر الى ذلك المكان النائي في مثل هذا الوقت».

«لقد عرفت دائماً انك لست بالساذجة، هل عرفته منذ زمن طويل؟».

اجابت مورروينا وهي تهزّ كتفيها بمرح:

«منذ زمن كاف».

«هل تنوين الزواج منه؟».

«أوه، ان ذلك يتوقف على امور كثيرة، افضّل التفكير فيه حين يحين أوانه».

أطلقت ضحكة قصيرة ثم استمرّت قائلة:

«وإذا استطعت اقناعه بان يعطيني من النقود ما يكفي نفقات دراستي للرسم، ربما لن افكر في الزواج اطلاقاً».

قالت فانيسا بدهشة:

«لقد فهمت حسناً كل ما استطيع قوله هو انني اتمنى لك حظاً سعيداً».

«شكراً لك».

ضحكت مورروينا وتابعت:

«اظن انني لن احتاج الى ذلك».

للحظة استسخفت نفسها للّعبة التي لعبتها مع فانيسا. لكن ماذا يهم، فهما لن تلتقيا ثانية. وهي تعرف جيداً ان ابنة عمها سوف تتنفس بارتياح وتبعدها عن ذاكرتها بمجرد ان تبتعد عنها، فهي تعرفهم جيداً. فما دامت تقيم في بريوري، فلن يشعروا بان الارث يؤول اليهم حقاً. كانت صبغة ثقيلة عليهم، والحقيقة ان العلاقة لم تكن حميمة بين العائلتين يوماً ما.

حين وضعت حقيبتها والرزمة التي تحوي الصور، فوق رف الأمتعة وأحست بحركة القطار وهو يبدأ رحلته الطويلة نحو الغرب، انتابها حزن شديد. راقبت الأرصفة وألواح الجدران الخشبية وهي تنساب الى الخلف بقنوط شديد.

ابتلعت ريقها، وبدت لها حجة الطلب الى اهل تريفينون الاحتفاظ برسومات امها، معقولة. لكن ما هو الحق الذي تمتلكه في ان تسأل عن اي احسان وهي الغريبة بين غرباء؟ اما كان من الافضل لو مكثت في لندن وأرغمت نفسها على بيع تلك الرسوم؟ اما كان ذلك اجدى من ركوب هذه الرحلة الى زاوية في انكلترا لا تعرفها الا من خلال قصص ما قبل النوم وبعض المناظر الرومانسية. تنهّدت

بألم. ها هي قد بدأت رحلتها سواء كانت احسنت القرار ام اساءته. وتمنت لو انها استطاعت ان تطرد من فكرها ما قاله احدهم يوماً:
«ان السفر بأمل، خير من الوصول».

٢ - وانطلقت الدموع

لم تتحسن حالة موروينا النفسية، حتى حين وصلت الى بنزاس. وظلت كآبتها كما هي. كانت السماء الرمادية لا تزال تمطر، مما زاد من شعورها بالوحدة والضعف. تمنت لو ان قدرتها المالية تسمح لها لكي تستقل سيارة تاكسي الى تريفينون، لكن ذلك سيكون مجازفة، خاصة وهي لا تعرف كم يبعد المنزل من بنزاس. للحظات راودتها فكرة العثور على مكان في بنزاس لقضاء الليل فيه. ولكن سرعان ما ابعدت تلك الفكرة عن رأسها. وايقنت ان ما هو مهم الآن هو الوصول الى تريفينون وايداع الرسوم هناك.

سارت تحت المطر حاملة حقيبة الظهر على كتفها، بينما الحقيبة الثانية في يدها الاخرى. وكان شعرها مبتلاً وقد تهدل حول وجهها

المبتل هو الآخر. من مكتبة صغيرة اقتنت خارطة للمنطقة، ودخلت الى مقهى كان من حسن الحظ انه ما زال مفتوحاً، حيث في مقدورها الاحتماء فيه من المطر وتأمل الخريطة براحة. لم تعثر على تريفينون في الخارطة، لكنها عثرت على بورت فينور بينما هي تشرب قهوتها وتتناول سندويشاً من الجبن، وعثرت على المضيق الاسباني ايضاً، فعرفت الاتجاه الذي يجب ان تسلكه.

حين تركت المقهى واجهتها ريح قوية كادت ان تفلت الباب من يدها وتفقدها توازنها للحظة. سيطرت على نفسها وهي تئن من الألم والضعف. لقد حدثتها امها كثيراً عن الرياح الجنوبية الغربية العاصفة في هذه المنطقة، لكنها لم تكن تتوقع ان عاصفة كتلك ستصادفها حالما تصل الى هنا. وما يقلقها هو المصير المجهول الذي ينتظرها، لكنها لم تجد بداً من الاستمرار، فغيرت وضع حقيبة السفر لتريح كتفها، ثم احنت رأسها عكس اتجاه الريح الشديدة وواصلت سيرها. فكرت في شيء واحد هو: ترى هل احسنت عملاً بمجيئها الى هنا، ام ان ذلك مجرد جنون ارتكبته بدون وعي. وكانت في اعماقها تتوسل الى الله ان يكون العجوز دومنيك رجلاً طيباً وشفوقاً، وان لا يستجوبها بالكثير من الاسئلة وهي على عتبة داره.

حين اصبحت في موقف الباص، اكتشفت انها ليست وحدها. كانت هنالك فتاة اخرى تنتظر وقد احتمت بمدخل احد الأبواب من المطر والريح. وهي فتاة قصيرة وممتلئة، ترتدي رداء طويلاً اسود. وكان وجهها مدوراً ودوداً، ابتسمت الفتاة لموروينا، بينما هذه تضع حقيبتها على الأرض وتنزل حقيبة الظهر عن كتفها. قالت الفتاة:

«انه يوم بائس حقاً...».

«نعم. والظلام يحل بسرعة في مثل هذا الوقت من السنة».

اجابتها موروينا وهي تنظر فيما حولها.

«هل تقصدين مكاناً بعيداً؟».

«لست متأكدة في الحقيقة. احاول الوصول الى بيت يدعى ريفينون».

«تريفينون...؟».

قالت الفتاة بدهشة ثم اضافت:

«انه على مسافة بعيدة. عليك ان تنزلي في مكان يدعى تريفينون كروس...».

وصمتت للحظة ثم قالت وهي تحدق في وجه موروينا:

«لا اريد ان اكون فضولية، لكن هل انت متأكدة من ان ذلك هو المكان الذي تقصدينه؟».

لم تكن موروينا في الواقع واثقة من اي شيء، لكنها رفعت وجهها بثقة لم تكن تملكها في الحقيقة. وقالت:

«بالطبع انا واثقة. انني ابحث عن السيد تريفينون. دومينيك تريفينون. هل تعرفينه؟».

تلعثمت الفتاة ثم تمتمت:

«لا اعرفه شخصياً، انه في الحقيقة لا يستقبل احداً في مملكته الخاصة».

همست موروينا لنفسها: اذن هذا هو السيد الذي عقدت عليه آمالي. وقالت:

«اظن انك تبالغين في حقه».

«بل انه اسوأ من هذا، متكبر وفظ الخلق. متمسك بمنزله

واواصبه على الشاطىء وكأنه يدافع عن اخر قلاع كورنوول. انه يكره السياح ولا يمد يد العون لأحد. ولكن اذا كان يتوقع وصولك فسيكون الأمر على ما يرام».

اشتدت دقات قلب مورروينا وفكرت: اذا كان هذا هو ما عليه العجوز الكريم، فكيف سيكون استقباله لها؟

«يبدو انك تعرفين الكثير عنه».

سألتها مورروينا.

«ليس كثيراً في الواقع. لكني املك صالة لصنع التحف الفخارية مع اخي، واردنا توسيعه ببناء مخزن ملحق به، لكننا فشلنا في الحصول على اجازة البناء، وكان السيد دومنيك تريفينون وراء حجب الاجازة عنا. انه يخشى ان يجلب ذلك المخزن، السياح الى منطقته. فهو يعتز بوحدته جداً».

شكراً على هذا التحذير، قالت مورروينا لنفسها، ونظرت الى ساعتها. سيصل الباص في اية لحظة، وما يزال هناك متسع من الوقت لتغير رأيها. احقاً هذا هو الرجل الذي تحدثت عنه امها بكل ذلك الحنين، ام ان الزمن قد غير من طباعه الى هذا الحد؟.

«بالمناسبة، انا بيدي برادشو . . . كنت اتجول في بعض مخازن الهدايا، احاول بيع بعض منتجاتنا، يبدو انه ليست هناك طلبات كثيرة في الوقت الحاضر».

مورروينا قدمت نفسها ايضاً وهي تومىء برأسها. فقالت بيدي باهتمام وهي تبتسم:

«لكن مورروينا اسم كورنوولي. يبدو انك من هذه المنطقة».

«لست من هذه المنطقة، لكن امي قضت معظم صباها هنا، لذا فاختيارها لهذا الاسم لي طبيعي فيما اظن».

«اظن ذلك. اوه لقد وصل الباص اخيراً».

صعدتا الى الباص. قالت بيدي:

«ستنزلين بعدي بمنطقة، ثم تنحرفين يساراً وتستمرين في الشارع نفسه الذي يوصلك الى المنزل مباشرة».

ارادت مورروينا ان تستفسر الكثير من بيدي عن تريفينون، لكن الزحام في الباص حال دون ذلك. كانت بيدي رفيقة لطيفة، تمنت مورروينا لو تطول رفقتها لها، وتأثرت كثيراً حين قالت بأنها تقترب من منطقة نزولها. ودعت مورروينا قائلة:

«اتمنى لك حظاً سعيداً. واذا ما رغبت في البقاء فترة هنا، فأرجو ان تزورينا في صالة الفخاريات».

«سأحاول. . . .».

اجابت مورروينا مبتسمة.

وحين نزلت بعدها بمنطقة، وابتعد الباص عنها، اخذت نفساً عميقاً ومشت بضع خطوات وجدت نفسها بعدها في ظلام. كانت الرياح تهب عاصفة وتبعثر خصلات شعرها على وجهها. شدت سترتها على جسدها باحكام، وفكرت بانها كانت تتوقع نفسها في اي مكان في هذا العالم غير هذا المكان المظلم البارد في هذه المنطقة الريفية. واصلت سيرها باتجاه ضوء تقاطع الشارع، حيث انحرفت هناك الى اليسار حسبما اوصتها بيدي. المطر ما يزال يهطل وصوت هدير البحر يأتيها واضحاً. وجدت نفسها في درب مظلم ضيق محاط من جانبيه بسياج نباتي عال، ولم يكن هنالك اي ضوء باستثناء ضوء القمر الخافت الذي كان يطل بين حين واخر من بين الغيوم.

وتذكرت انها وضعت مصباحاً يدوياً يعمل بالبطاريات في حقيبة الظهر، فأنزلت الحقيبة وبدأت تفتش فيها حتى عثرت عليه. وحين اشعلته كان نوره ضعيفاً غير انه كان كافياً لاضاءة الطريق امامها.

سارت حوالي عشر دقائق، وتمنت لو ان لوحة الارشاد التي صادفتها في بداية الدرب، قد اعطتها فكرة عن المسافة التي تفصلها عن المنزل.

فجأة سمعت صوت ارتطام عنيف بالقرب منها، كان الصوت قوياً حتى طغى على صوت هبوب الريح رغم شدتها وعلوها. كانت شجرة قوية اقتلعتها الريح العاصفة والقتها على الطريق، ولحسن الحظ لم تصب مورويتا بأذى، لكنها ارتعبت وتوترت اعصابها غير انها استردت هدوءها بعد فترة قصيرة. امسكت غصناً منها وحاولت تحريكها حتى تبعدها عن الطريق، لكنها فشلت. وعرفت ان هذه الشجرة ستسبب كارثة لأية سيارة متجهة الى البيت او عائدة منه. فقررت ان تهرع الى البيت اينما كان وتخبر من فيه بالأمر. غير انه لم يمر سوى لحظات حتى سمعت محرك سيارة قادمة من بعيد، فالتفتت فيما حولها واخذت تبحث في الظلام حتى لمحت ضوء مصباحين قويين متجهين نحوها، وادركت ان السيارة قادمة الى تريفينون، وانها ستصل هنا في اية لحظة وسائقها يجهل الخطر الذي ينتظره في الطريق. ركضت الى منحنى الطريق ووقفت في وسطه وهي تحرك مصباحها على ضوءه يسترعي انتباه السائق. واقترب صوت المحرك حتى كاد ان يصم أذنيها، وبغتة سمعت صرير عجلات تتوقف بعنف، وان جسدها قد القي بقوة نحو السياج. ثم احست بيدين قويتين ترفعانها وتوقفانها على قدميها.

كان رجلاً طويلاً اسود اللون، وكانت سحنته غاضبة وهو يقول:

«ما الذي تفعلينه هنا، ايتها الحمقاء؟ كنت على وشك ان تموتي!».

حررت نفسها من يديه بغضب وانفجرت في وجهه قائلة وهي تلهث:

«لا تقل انني حمقاء. وماذا عن نفسك؟ انك تقود سيارتك كالمجنون في هذا الليل المظلم. لو دهستني لكنت انت المخطىء!».

«هل تسمحين ان احيطك علماً بأن هذا طريق خاص. ولا يتوقع احد ان يصادفه عابر مجنون مثلك».

«لست مجنونة، وانما كنت احاول انقاذ حياتك. او على الأقل ان احول دون اصابتك بجروح».

ساد صمت ثقيل، قطعه صوته وهو يتساءل باستغراب:

«ماذا تقصدين؟».

«هناك شجرة واقعة على الطريق خلف هذا المنحنى. كنت ذاهبة لأخبر احداً في البيت حين سمعت صوت سيارتك. وفكرت انه من الأفضل ان ابقى واحذرك حتى لا تصطدم بها».

«انتظري هنا. . .».

قال بغتة وذهب الى سيارته، ادار محركها وسار بها الى ما بعد المنحنى. ثم اوقفها هناك، وعاد ماشياً.

«يبدو انني مدين لك بكلمة اعتذار».

قال بهدوء ثم اضاف متسائلاً:

«ولكن ماذا تفعلين هنا؟ هل اضعت الطريق؟ هذا طريق خاص

يؤدي فقط الى. . .».

لكن موروينا قاطعته قائلة:

«الى تريفينون. اعرف ذلك. انني لم اضع طريقي، لكنني ذاهبة الى تريفينون، اريد ان ارى السيد دومنيك تريفينون».

«حقاً؟ وهل السيد تريفينون يتوقع وصولك؟».

«كلا. وقد حذرني احدهم قبل قليل بأنه متعجرف جداً، ويحسب نفسه ملكاً غير متوج على منطقة كورنوول. لكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً. فأنا ذاهبة لمقابلته».

«ولماذا تصرين على مقابلته؟ اليس من الأفضل ان تبتعدي عنه وقد عرفت طباعه؟».

«لا بد ان اراه. اريد ان اسأله معروفاً».

«وهل تعتقدين انه سيلبي طلب عابرة سبيل غريبة مثلك؟».

«يداخلني شعور بأنه سيساعدني، بالاضافة الى انني لست غريبة عنه تماماً».

«ماذا تعنين بأنك لست غريبة عنه تماماً؟».

موروينا احست انها تحدثت اكثر مما ينبغي، لذا اجابته قائلة:

«آسفة، هذا امر يعود لي».

ثم اضافت بعد توقف قصير:

«اظن انك صديق مقرب منه، وانك في طريقك اليه، وستخبره عما قلته عنه، لا تتردد في ذلك. فلن يغير ذلك شيئاً».

حاولت ان تتحرك من مكانها، لكن ألماً شديداً في اطرافها شلها عن الحركة.

«هل تأذيت؟ لقد صدمتك السيارة بعنف».

«اوه، لا تقلق. اظن انني ما زلت قادرة على المشي».

«قفي منتصبة، دعيني افحصك. ربما اصبت بكسر».

وقفت موروينا في مكانها واسنانها تصطك من الغيظ والألم، وهو يفحص اطرافها بدقة وعناية

«شكراً لك. يبدو انك طبيب بيطري».

«ليس بالضبط. من المفيد ان احذرك من الكلاب. انها غير متعودة على استقبال الغرباء في البيت».

«يا الهي. . . !».

هتفت موروينا بخوف. غير انه كان من العسير عليها ان ترى وجهه بوضوح حتى تعرف فيما اذا كان يمزح ام انه جاد في قوله. وسألته:

«وهل هي كلاب شرسة؟».

«ذلك يتوقف عليك. لا تحاولي اثارتها».

«اتظن ان الأمر سيكون افضل لو عرفت اسماءها؟».

«أظن ذلك. احدهما يدعى وسكي والآخر ماكس».

حملت موروينا حقيبة الظهر على كتفها والحقيبة الأخرى في يدها، وهمت بالسير لكنه قاطعها قائلاً:

«سؤال اخير لو سمحت. كم من الوقت تودين البقاء في تريفينون؟».

ارادت ان تقول له ان جل ما تطلبه الآن هو قضاء هذه الليلة تحت سقف يحميها، لكنها ضبطت لسانها وقالت مازحة:

«لنر كيف تسير الأمور، ربما سيهواني ملك كورنوول».

«سيهتم بك حتماً».

قال بنبرة لطيفة وهادئة.

سارت في طريقها مرفوعة الرأس، متحاملة على نفسها بدون ان تعرج حتى اجتازت منحنى الطريق واصبحت خارج حدود ضياء مصابيح السيارة. كانت الريح قد خفتت، لذا بدا صوت ارتطام امواج البحر بالساحل اكثر وضوحاً. وكان المطر قد توقف ايضاً. وعلى ضوء القمر الذي ظهر من بين الغيوم المتسارعة، بدا هيكل البيت واضحاً، المداخن والسقف، وعلى جهة اليسار كان هناك ضوء مصباح في احدى نوافذه. احست مورورينا بموجة حنين تغمرها وهي تتذكر رسوم والدتها، وامتلأت عيناها بالدموع. وعلى مقربة منها نبح كلب وتبعه كلب ثان. وفي البيت اضيء ضوء اخر، وكأن اهل البيت يستجيبون لنداء الكلاب. بالطبع قالت مورورينا لنفسها. انهم ينتظرون زائراً، الرجل الذي قابلته في الطريق.

جمعت كل شجاعتها واتجهت نحو الباب الرئيسي. وقرعت الجرس المثبت على جانب الباب. اخذ الكلبان ينبحان ويدنوان منها، فنادتهما باسميهما فتوقفا قربها. ثم سمعت وقع اقدام قادمة من الداخل. سرت رعشة برد في اطرافها فدست يدها في جيبها لتخفف من انفعالها. وانفتح الباب الثقيل محدثاً صوت صرير عميق. طالعها رجل بدين وقصير، عيناه تلمعان تحت حاجبين رماديين كثين. واخذ يحدق فيها بارتياب. ثم قال بامتعاض:

«يبدو انك اخطأت البيت الذي تقصدينه».

اقتربت منه مورورينا اكثر وابتسمت له وهي تفكر: ترى اهذا هو السيد تريفينون؟ يبدو حقاً مثلما سمعت عنه من جفاء.

«السيد تريفينون؟».

سألت مورورينا بنبرة حاولت ان تكون واثقة.

«غير موجود».

«اهو مسافر ام انه خارج البيت؟».

«هذا ليس من شأنك. اذهبي الى سبيلك».

اجابها الرجل، بينما في تلك اللحظة رن جرس الهاتف في مكان ما من البيت. وهم الرجل ان يغلق الباب وهو يقول:

«عليّ ان أجيب على الهاتف..».

لكن مورورينا هتفت به متوسلة:

«من فضلك. لقد اتيت من مكان بعيد هذا اليوم، اذا كان السيد تريفينون غير موجود الآن فهل بوسعي الدخول وانتظاره؟».

«كلا..».

اجابها وقد بدا من نبرته انه فقد صبره، ثم اضاف حانقاً:

«لو كان السيد تريفينون راغباً في رؤيتك لأخبرنا بمجيئك. اتصلي غداً بالهاتف وخذي موعداً لرؤيته... والآن اذهبي...».

وانسحب وهو يغلق الباب، لكن صوت امرأة هتفت به من الداخل:

«انتظر يا زاك، دعها تدخل».

«ماذا تقولين؟».

«قلت دعها تدخل. الم تسمع؟».

فتح الرجل الباب، ودخلت مورورينا، وضعت حقيبتها على الأرض ثم انزلت الحقيبة الثانية من على كتفها.

تأملت المرأة، مورورينا بريبة، وقالت لها:

«يمكنك الانتظار في غرفة المكتب حتى يحضر السيد. هناك نار في المدفأة... هل تريدين كوباً من مشروب ساخن؟».

قبلت موروينا وهي تشعر بالسعادة لسماحهم لها بالدخول بعد ان كادت تمكث في العراء في هذا الليل البارد. وزادت سعادتها وهي تدخل الى المكتب. طاولة كتابة عتيقة، تتكدّس الأوراق عليها، بالاضافة الى آلة كاتبة قديمة. مقعد طويل مغطى بقماش بال موضوع امام المدفأة، والى جانبه مائدة صغيرة. وعلى الأرض فرشت سجادة مربعة حمراء.

جلست امام المدفأة ومدت يدها المرتعشة نحو النار فسرى الدفء فيها، لكن ما رأته لم يعطها شعوراً بالتفاؤل، وبدا لها واضحاً ان تريفينون يعاني من افول المجد منذ ان زارته امها آخر مرة. ويبدو ان هذا هو سبب عدم عودة امها الى هنا مرة اخرى. وربما ان تريفينون نفسه لم يشجعها على المجيء، حتى تبقى تتذكر الاشياء كما كانت، وتتذكر الناس هنا كما كانوا.

فتحت حقيبة الظهر التي كانت الى جانبها، واخرجت الرزمة التي فيها الرسوم، وبعد تردد قصير قامت ومشت نحو الطاولة ووضعتها فوقها.

كانت هناك مجموعة من الصحف والمجلات ملقاة على طرف المقعد باهمال، تفحصتها بسرعة وهي تعود الى مكانها، كانت متنوعة تعطي انطباعاً عن ذوق وشخصية مقتنيها. وهناك صحف محلية بينها، اخذت احداها وبدأت تطالع صفحتها الأولى، لكنها لم تكن قادرة على التقاط الكلمات بوضوح، وادركت مدى تعبها.

دخلت السيدة حاملة صينية، وضعتها على المائدة، وتأملت موروينا بنظراتها طويلاً. فقالت موروينا:

«هل... هل هناك شيء ما، على غير ما يرام؟».

«انت تذكرينني بشخص اعرفه... لا اقدر على تذكره الآن، لكني سأتذكره...».

خفق قلب موروينا بشدة. ترى هل هذا الشخص هو امها؟ لكن قبل ان تسألها، فتح الباب وجاء صوت زاك وهو ينادي: «انيز!».

اجابته المرأة ثم خرجت اليه.

اسندت موروينا ظهرها الى المقعد باسترخاء بعد ان انتهت من شرب الشاي. واغمضت عينيها وهي تشعر بالدفء والطمأنينة بالرغم من جهلها بما سيحدث. وبدأت صور عديدة تتراقص في ذهنها وهي تسترخي اكثر فاكثر، ودفء النار يسري في جسدها ويبدد الألم من اطرافها. تراءت لها وهي في غفوتها اشجار تتراقص في مهب الريح، وكلاب تشع عيونها ببريق ذهبي. رأت بيدي ايضاً، وكانت الريح تهز قبعتها السوداء.

لم تعرف كم من الوقت اخذها النوم، لكنها استيقظت فجأة واستوت في مكانها. كانت الغرفة اكثر اضاءة، فادركت ان احداً ما قد اضاء المصباح الرئيسي الذي على الطاولة. وكان هناك رجل في الغرفة، عرفته، انه نفسه الذي التقته في الطريق، كان اسود اللون، وجهه نحيل وحاد التقاطيع كأنه قد من حجر الغرانيت. له انف مرتفع وشفتان ممتلئتان وغامقتان. وكان منحنياً على رسوم امها يحدق فيها بعد ان فتح الرزمة.

التفت اليها، وحدق في وجهها بوجه غاضب، فسرت في جسدها قشعريرة، حاولت ان تقنع نفسها بأنها ما زالت غارقة في حلمها، لكنها ادركت ان الأمر حقيقة وليس حلماً، حين تكلم بغيظ:

«من انت بحق الجحيم؟ وماذا تفعلين هنا؟».

ثم اضاف بعد صمت قليل:
«عندك دقيقتان لتجيبي على سؤالي قبل ان القيك الى الخارج».

٣ - حنين في الليل

غرقت مورورينا في الصمت للحظة، ثم قفزت واقفة بانفعال، غير مبالية لشعرها الذي انحلت عقدته وانساب على كتفيها مثل شلال من ذهب. وصاحت بغضب:

«ولكن من أنت حتى تحدثني هكذا؟ ولماذا فتحت تلك الرزمة؟ انها خاصة للسيد دومنيك تريفينون. ثم بأي حق دخلت علي هنا؟».

«أنت التي دخلت هنا. وليس أنا، يكاد وقتك ان ينتهي، لذا انصحك بأن تجيبي على اسئلتي».

«لا ارغب في قول شيء. اريد التحدث الى السيد تريفينون فقط».

«اظن انك لا تمارسين لعبة سمجة معي، وانك حقاً لا تعرفين من

اناه.

جمدت موروينا في مكانها وعيناها تحدقان في وجهه بدهشة. ثم همست:

«كلا... لا يمكن ذلك. انت لست...».

«بل اؤكد لك، انا دومنيك تريفينون. انا من أطلق عليه لقب ملك كورونوول غير المتوج، وهذه هي قلعتي».

«كلا... لا اصدق ذلك. لا يمكن ان تكون انت دومنيك تريفينون. انت لست كبيراً في السن».

«أهذه كلمة اطراء؟».

«كلا... انها ليست كذلك. ولكن حسب ما اعتقد ان دومنيك تريفينون الحقيقي هو الآن في الستينات من عمره على الأقل».

لم يندهش من قولها، بل احنى رأسه وكأنه يوافق على ذلك. ثم قال بهدوء:

«الآن اخبريني من انت، وماذا تريدين؟».

سيطرت على انفعالاتها وقالت بهدوء:

«يبدو انني قد اسأت التقدير. ليس امامي الآن سوى الاعتذار والانصراف. هل تسمح لي بأخذ رسومي؟».

مدت يدها نحو الرسوم لكنه تجاهل حركتها تماماً. وقال:

«ليس قبل ان تشرحي الأمر. لقد تحدثنا كثيراً حين التقينا في الطريق، فلماذا هذا التحفظ في الكلام الآن؟ ثم تذكري انك جئت لتسأليني احساناً».

«ليس منك. بل من شخص آخر، وربما هو لم يعد حياً، والدك ربما، او...».

«عمي. انه الآن في غرفته في الطابق الثاني».

«اذن هل استطيع مقابلته رجاء؟».

«كلا، بامكانك مناقشة اي موضوع تودينه معي. واذا كان الأمر يتعلق بهذه الرسوم، كأن ترغبين بيعها مثلاً، فأؤكد لك مقدماً انك تضيعين وقتك هباء».

«كلا، لا انوي ذلك اطلاقاً».

قالت وهي تحدق في اماكن معينة في الجدار، بدا واضحاً ان رسوماً ما كانت معلقة فيها فيما مضى.

وكان هو يراقبها ثم قال:

«انت على حق. كانت هناك رسوم معلقة هنا يوماً ما، وكانت اكثر قيمة من رسوماتك هذه».

«اعترف ان الرسوم هذه ليست افضل اعمالها، لكن لها قيمتها الخاصة عندي. او ان هذا على الأقل ما اعتقده، والا لما حضرت الى هنا».

«لماذا، هل تناسب بيوتاً معينة؟ اذا كان الأمر كذلك فكان الأجدر بك ان تبذلي جهداً اكبر في رسمها».

«كلا بالطبع. لأن التي رسمتها، وهي امي، لاورا كير سلاك، قد عاشت هنا. كان هذا البيت بيتها حين كانت فتاة. وتريفينون عائلتها. العائلة الوحيدة لها حتى تزوجت من ابي. اوه، اعرف انها فقدت الصلة بكم جميعاً، لكن...».

«هل هي التي بعثتك؟».

اعترضها ببرود. هزت رأسها وابتلعت ريقها قائلة بأسى:

«لقد ماتت منذ سنوات».

«أنا اسف».

قال بلا مبالاة وكأنه يؤدي واجباً ثقيلاً.

رفعت موروينا رأسها وحدقت في وجهه بغيظ. وقالت بصوت خفيض:

«انني سعيدة لانها لا تسمعك الآن، وانها ليست حاضرة لكي تعرف كم هم غير اوفياء اولئك الذين احبتهم».

«انت سريعة الحكم على الاخرين. لقد قلت انها فقدت الصلة بنا. الم يخطر لك يوماً ان تسألي نفسك، لماذا؟ لست ادري الى اي حد حدثتك عن حياتها هنا، ولكني اقسم انها لم تخبرك بمدى الخراب الذي تركته هنا حين رحلت».

«انت تكذب!».

«ولماذا الكذب؟ قد يكون ما قلته مر المذاق لكنه الحقيقة».

ظلت موروينا تحدق فيه بدون ان تجد ما تقوله، بعد فترة صمت قصيرة، بدأ هو الكلام ثانية وسألها:

«وماذا عن ابيك، السيد روبرت الأنيق، هل هو يعرف بمجيئك الى هنا؟».

«لقد مات هو الآخر. وشقيقي مارتين ايضاً. قتلا في حادث سيارة قبل اسابيع قليلة. وجميع ممتلكاتنا انتقلت الى ابن عمه. وهذه الرسوم هي كل ما بقي لي».

«يا الهي، اذن هذا هو الموضوع. قصة والدتك نفسها تتكرر ثانية. قبل خمسة وثلاثين عاماً وجدت امك هنا ملاذاً لها، واليوم تحاولين انت الشيء نفسه».

قال هذا بهدوء وهو يهز رأسه. نبرة الازدراء التي كانت في صوته، جعلت موروينا تفقد صبرها تماماً، وهمت بأن تهجم عليه وتنشب اظافرها في لحم وجهه الأسود، لكنها تمالكت نفسها وقالت:

«انك سريع الحكم ايضاً. اعترف بأني قصدتك باحثة عن ملجأ،

ولكن ليس لي بالذات بل لهذه الرسوم. فكرت بأنك ستحتفظ بها عندك حتى اعثر على مكان لنفسي. وظننت انك لو لم تفعل هذا من اجلي، فعلى الأقل ستفعله من اجل امي. وها انا الآن قد اكتشفت خطأ ظني».

اطلق ضحكة قصيرة وقال:

«اذن هذا هو الاحسان الذي جئت تطلبينه. يؤسفني ان اقول انني لا استطيع تلبيته لك. ما يزال في هذا البيت اناس ستسبب لهم اثارة ذكرى امك بهذه الصراحة الماً كبيراً. عمي واحد منهم، وهو مريض منذ سنين، وافضل ان لا يتزعج بسبب هذا الموضوع».

لم تصدق ما سمعته بآذانها الا بصعوبة. ترى ما الذي حدث هنا خلال تلك السنوات؟ لا يمكن لشيء ان يشوه ذكريات لاورا كير سلاك عن دومنيك تريفيثون.

شعرت فجأة انها ترتعش، وقالت وهي تخرج صوتها بصعوبة:

«لا اعرف ما الذي جرى ويجري هنا. ولكن كل ما استطيعه هو ان اغادر حالاً، وان اعتذر عن تطفلي».

حملت حقيبة الظهر من جانب المقعد وسارت نحو الباب. لكنه ابتعد عن الطاولة واعترض طريقها قائلاً بنبرة حازمة:

«انتظري لحظة، ليس الأمر بهذه السهولة التي تتصورينها. ما الذي كنت تبغينه بالضبط من مجيئك الى هنا؟».

«كنت ابغي شيئاً قليلاً. ان ادع هذه الرسوم هنا. هذا كل ما كنت ابغيه. لكن يبدو ان هذا اكثر مما يمكن لغريب ان يطمع فيه».

«يا له من استعطاف. ولكن لماذا لم تكتبي او تخابري مقدماً قبل وصولك؟ ثم هل تتصورين انني تأثرت برواياتك هذه؟ انه لم يعد، لسوء الحظ، ايواء المشردين من اهتمامات عائلتنا، وامك هي سبب

ذلك».

ان تصدق قصتي او تكذبها، هذا شأنك. ولكن ما قلته هو الحقيقة».

«هل تحاولين اقناعي بأنه لم يرد ببالك ابداً، انه ربما ستجدين مأوى لك هنا؟».

«لا اقدر ان انكر ذلك».

نظرت مورروينا اليه. كانت نظراته غريبة، وكأن اعترافها قد ادهشه. وفكرت ان هذا كان كل ما يود سماعه منها. سارت مرة اخرى نحو الباب، لكنه لم يتحرك من طريقها. ومرت من جانبه، وما ان مدت يدها الى المقبض، حتى انفتح الباب فجأة بقوة، فتراجعت الى الوراء خطوة وهي تطلق صيحة خوف.

«انا اسف. . .».

قال الشاب الذي دخل وهو يتأملها بنظرة قلق. ثم اضاف:

«هل صدمك الباب؟ لم اعرف انك تقفين وراءه. فكرت ان دوم وحده في الغرفة. . .».

«الآنسة ستغادر الآن».

قال دومنيك بلهجة باردة.

«حقاً؟ هذا مؤسف. هل تعيشين الى جوارنا؟».

سأل الشاب بدون ان يخفي خيبته.

«اعيش في لندن».

قالت مورروينا وقد داخلها شعور بالخوف والقلق من ترك البيت في مثل هذه الليلة العاصفة. لو استطاعت ان تقضي ليلتها هذه تحت هذا السقف، اذن لتدبرت امرها غداً. لكنها كرهت الفكرة، ورغبت، فعلاً بترك هذا البيت المظلم الواسع، وهذا الرجل الذي

يتمتع باذلالها، ورغبت ان تعرف ما حدث في هذا البيت حين كانت امها هنا.

تكلم الشاب ثانية قائلاً:

«حسناً، اذا كان لا بد من ذهابك. فكوني حذرة في قيادتك. هناك شجرة واقعة على الطريق. شاهدت جاك وهو يزيحها، لكن ربما هناك اشجار اخرى ايضاً».

«لا املك سيارة. اعتقد انه ما زالت هناك باصات في الشارع الرئيسي؟».

«نعم ولكن عددها قليل، ويتأخر وصولها عادة».

تأملها الشاب طويلاً، ثم نظر الى وجه دومنيك، بينما كان هذا يستمع الى الحوار وعلى شفتيه ابتسامة باردة. سأله الشاب:

«ما الذي يجري هنا يا دوم؟ هل تتركها حقاً تسير كل هذه المسافة حتى الشارع العام في مثل هذا الليل، وفي البيت ست غرف نوم فارغة؟».

فقالت مورروينا:

«اوه من فضلك، لا بد ان اعود. فعندي اشغالي».

«اذن دعيني آخذك بسيارتي».

قال بابتسامة حنونة ادخلت الدفء اليها رغم ما يحدث. ثم اضاف:

«اين تسكنين؟ في القلعة، في بورت فينور؟».

«كلا. في الحقيقة اسكن مع بعض الاصدقاء. ولا داعي لأن تزعج نفسك في هذا الليل».

«ابداً. . . ابداً. قل لها يا دوم بأنها لا تسبب لنا اي ازعاج. لماذا تقف هكذا؟ ما الذي حل بك؟ هل ستتركها تخرج من البيت في مثل

هذا الليل؟».

رفع دومنيك تريفينون حاجبيه، وقال ببرود:

«الآنسة كيرسلاك قادرة على تدبير امورها. انها شابة ناضجة. ولا اظن ان هناك داعياً للقلق بشأنها».

«من... آنسة كيرسلاك؟».

«اظن انك سمعتني جيداً. والآن اعتقد ان الوقت قد حان لأن اعرفكما ببعضكما. آنسة كيرسلاك. هذا اخي الصغير مارك».

«أظن أن عليّ، بعد ان عرفتني، ألا انتظر منك ان تأخذني بسيارتك».

«ابداً بالعكس. سآخذك اينما تشائين...».

سارت نحو الصالون بدون كلمة اضافية، حاملة حقيبتها، ولحق بها مارك ثم سارا باتجاه الباب الرئيسي.

قالت موروينا:

«آسفة على كل ما حدث. كنت اجهل ما جرى هنا، حتى هذا المساء حين عرفت ان هناك صدعاً بين العائلتين».

قال مبتسماً وهو يدير محرك السيارة:

«لا بد انها كانت صدمة غير متوقعة لك».

«الحقيقة انني ما زلت اجهل تماماً ما ارتكبته امي هنا. تحدث شقيقك السيد تريفينون عن البؤس والخراب. اني اجد صعوبة في تصديق ان كلانا كنا نتحدث عن الشخصية نفسها. كنت مجرد طفلة حين ماتت امي، لكني لا اتذكر ابداً انها كانت انسانة مدمرة. بالعكس كانت دافئة، مبدعة، محبوبة من الآخرين».

«ربما كان ذلك اساس البلاء».

«ماذا تعني بذلك؟».

«اوه لننسَ الموضوع. لا فائدة من نبش الماضي. انا آسف اذا كان دوم قد عاملك بقسوة، واظن انه لا يستحق لوماً على ذلك. فالأمر لم يكن سهلاً عليه، وان وصولك نكأ جراحه من جديد. وبالمناسبة لماذا جئت الى هنا؟».

«اردت من اخيك ان يحتفظ عنده لي ببعض الرسوم».

تأملها بنظرة جانبية حادة، قائلاً:

««هل تعنين بعض رسوم والدتك؟».

«نعم...».

اطلق صفيراً حاداً من بين شفتيه وقال:

«يا الهي. ان هذا حقاً استفزاز. انه اشبه باثارة عش للنحل!».

«ولكن لماذا؟».

سألت موروينا وعلى وجهها ابتسامة حزينة. ثم فجأة التفتت اليه ورفعت يدها متوسلة:

«اوه يا الهي... انني آسفة. هل تستطيع ان تعود بي الى البيت؟».

«لماذا بحق السماء؟».

سألها مارك مستغرباً، واوقف السيارة. فقالت:

«لقد نسيت الرسوم على مكتب شقيقك».

تأملها مارك للحظات ثم قال:

«في الحقيقة لا انصحك بالعودة ثانية الى هناك».

«لا احتاج الى نصيحتك. انا ايضاً لا اود الاقتراب من ذلك البيت. لكني اريد رسومي».

«اسمعي يا عزيزتي، سأوصلك الى المكان الذي تقصدينه، اما الرسوم فسأجلبها لك صباحاً. ما رأيك؟».

هزت مورووينا راسها غير مقتنعة، وقالت:
«افضل اخذها الآن. لكن يبدو انه لا خيار لي».
«ساجلبها لك غداً صباحاً. هذا افضل، صدقيني».
قال هذا وحرك السيارة.
«لم اكن اعرف انني منبوذة بهذا الشكل».
«كلا، لست كذلك. ليس الذنب ذنبك...».
خيم الصمت بينها لفترة، ثم سألها مارك:
«هل تعرفين شيئاً عن موضوع الزورق؟».
«كلا... اي زورق؟».
«حسناً، هل سمعت امك وهي تردد اسم الليدي لاورا؟».
«لا... ان اسم امي هو الليدي كيرسلاك، وليس...».
«كلا... كلا. الليدي لاورا ليس اسم شخص، وانما هو اسم زورق، صممه العم نيكولا. فقد كان في البحرية، وحين عاد منها بعد الحرب اقنع والدي بتأسيس مشروع لصناعة الزوارق. وكان اسم النموذج الذي صممه للانتاج هو الليدي لاورا، باسم امك. في اية حال لا اريد ازعاجك بتفاصيل هذا الموضوع».
«لم تحدثني امي عن اي شيء من هذا القبيل. كانت تحدثني عن تريفينون واهله دائماً. كانت ذكرياتها جميعاً سعيدة».
سألها مارك مستغرباً:
«اهذا صحيح؟ يبدو انها كانت قادرة على خداع النفس ايضاً».
«كيف...؟ بالله عليك، هلا اخبرتني بما جرى هنا... وماذا ارتكبت امي؟».
«آسف اذا كانت القصة مؤلمة، لكنك تريدين معرفة الحقيقة. حسناً. حين جاءت امك لاورا ورندر، التي اصبحت فيما بعد لاورا

كيرسلاك، الى تريفينون استطاعت في وقت قصير ان تفتن الناس جميعاً وتكسب حبهم وودهم، ومن ثم استعمال هذه العاطفة ضدهم. انظري مدى معرفتي بطبيعتها مع العلم انني لم اكن قد ولدت بعد حين جاءت هي الى هنا. لقد تركت تأثيراً كبيراً على كل واحد هنا. وما زلنا نعالج من آثار معاملتها تلك، نفسياً ومادياً».
وهمست مورووينا... تحدث نفسها، وهي تحدق فيه بدهشة:
«نعم نتحدث عن الشخص نفسه. لقد نشأت هنا ورافقت خطوات تأسيس مشروع الزوارق، وحين هربت، تركت العم نيكولا رجلاً محطماً، والمشروع خراباً. هل تعرفين بانها كانت في سبيلها الى الزواج من العم نيكولا؟».
«كلا، ظننت ان ابي هو الرجل الوحيد في حياتها».
هز مارك كتفيه قائلاً:
«ربما كان كذلك. لكنها ارادت العم نيكولا في السلسلة ايضاً. لقد اراد ان يكون الزورق (ليدي لاورا) هدية زواجها. يعرف الجميع هنا انهما كانا على ابواب الزواج حين ظهر والدك على مسرح الأحداث. لقد جاء الى هنا لقضاء عطلته، فالتقيا. وكان يزور البيت بشكل منتظم ويلقى الترحيب من الجميع، ولم يدرك احد ان هناك شيئاً ما يجري بينهما، حتى فرا معاً. وليس هذا كل ما في الأمر، فحينما ذهب العم نيكولا الى المصنع، وجد ان تصميم الزورق (ليدي لاورا) قد اختفى من مكتبه».
«وتعتقد ان امي... اوه، انني لا اصدق».
«والعم نيكولا لم يصدق الأمر في البداية ايضاً، لكنه اكتشف ذلك بعد فترة قصيرة، حين ذهب الى معرض الزوارق، وهناك شاهد زورقه نفسه (ليدي لاورا). وبالطبع لم يكن يحمل الأسم نفسه الا انه

كان زورقه. لكنه لم يستطع ان يثبت بأن هذه نسخة مزورة من زورقه. غير ان مدير المبيعات ضحك كثيراً ونصحه ان يكون اكثر حذراً حين يختار صديقاته».

«يا الهي... وماذا حدث بعد ذلك؟».

«افلست الشركة، فاضطر ابي الى بيع اراضيه ليسدد الديون. لكن ما هز العم نيكولا، هو ان كل ما جرى له انما كان من امرأة احبها جداً، لذلك لا تلقين الترحاب في هذا البيت».

قالت موروينا بعد صمت طويل:

«لا اصدق ذلك... انها لم تكن من هذا النوع، ويستحيل ان تعيش كل هذه السنوات بدون ان يبدر منها شيء يثبت هذا السلوك الذي تتحدث عنه، الا اذا كنت تعتقد ان والدي كان شريكها، وانه هو الذي دفعها الى ما فعلت».

«في الحقيقة لا نعرف الدور الذي لعبه والدك في الأمر. لكن ما زاد الطين بلة هو ان والدك كان خاطباً لفتاة في المنطقة، وكانت الفتاة صديقة العائلة فتصوري الفضيحة التي وقعت في منطقة صغيرة مثل هذه».

شعرت موروينا كأنها تحت وطأة كابوس ثقيل. غير انها سيطرت على اعصابها المتوترة، وتشبثت بما تؤمن بأن والديها لا يمكن ان يرتكبا مثل هذا الفعل. وقالت بعد تردد:

«لقد فهمت كل ما حدثتني به يا مارك، وحاولت جهدي لأن اصدقه، لكن بدون جدوى. لا استطيع ان اصدق ان المرأة التي أتذكرها، وكذلك والدي، يرتكبان مثل هذه الفعلة. ربما انها احبا بعضهما، والناس عادة ينجرفون مع عواطفهم، لكن لا يمكن ان يقدما على بيع اسرار وتصاميم شركة الزوارق. لا اظن ذلك».

«لكن الشواهد كلها اثبتت انها فعلا ذلك. او على الأقل هي فعلت».

«وكيف حكمتم ان هذه الشواهد ثابتة؟ هل اتصل احد بأمي واستوضحها الأمر؟».

«كلا، لا احد من العائلة رغب في التحدث اليها، او حتى رؤيتها. ولم يسمح العم نيكولا لأي احد ان يدخل الغرفة التي كانت تستعملها. لقد اقفلها منذ ذلك الوقت واحتفظ بمفتاحها. واظن انه دخلها مرة او مرتين قبل ان يقعده المرض».

«وماذا يعاني؟».

«اصيب بجلطة قلبية، ادت الى شلل جزئي، لكنه من حسن الحظ تغلب عليها وما زال يعالج. ان دومنيك لم يسمح لك برؤيته لأننا لا نريد ان نجازف ونعرضه لصدمة اخرى بعد كل هذا الزمن».

اوقف مارك السيارة الى جانب الطريق العام وقال لها:

«والآن، قلت انك تبقين مع بعض الأصدقاء. اكان ذلك صحيحاً ام مجرد عذر لانقاذ ماء الوجه؟».

عضت موروينا على شفتها وقالت:

«عندي مكان اذهب اليه. سأنزل هنا، وحين استقر سأتصل بك حتى تبعث لي بالرسوم».

«حسناً. وانني آسف لكل ما حدث».

«انا آسفة ايضاً».

قالت ذلك ثم انزلت حقيبتها. وظلت تراقب السيارة حتى اختفت تماماً.

سرت في جسدها قشعريرة برد وخوف. انها الآن وحدها وعليها ان تعثر على بيت بيدي، الفتاة التي التقتها في موقف الباص، عليها

تزويها هذه الليلة.

انتظرت بعض الوقت، وحين يئست من وصول الباص، واشتدت برودة الجو، قررت الذهاب الى بيت صديقتها مشياً. فحملت حقيبتيها وسارت.

سمعت صوت محرك سيارة فظنت انه الباص. ورفعت يدها مؤشرة بالتوقف. لكنها تجاوزتها ووقفت على بعد قصير منها.

كانت سيارة خاصة فيها شخصان، اغلب الظن انهما زوجان. اطلت المرأة برأسها من النافذة وصاحت بها:

«الى اين تريدين الذهاب؟».

«الى سانت اينا. . .».

«حسناً سنأخذك الى هناك».

نزل الزوج وعاونها في وضع الحقائب في صندوق السيارة.

في هذه اللحظة توقفت سيارة اخرى الى جانبهم. ونزل منها سائقها واتجه نحوهم. لكن ما ان رأته موروينا حتى اصابتها الدهشة والخوف. كان ذلك دومنيك تريفينون.

قالت متوسلة الى السائق الذي كان قد انتهى من وضع حقائبها في السيارة:

«لنذهب بسرعة من فضلك. . .».

«ماذا حدث؟».

«لا شيء. . . . لا شيء، فقط اسرع».

لكن دومنيك وصل اليهم وصاح بها:

«الى اين تفرين يا آنسة؟».

حدقت في وجهه لحظة وقالت:

«وماذا يهمك مني؟».

تجاهلها واخذ يتحدث الى الزوجين المندهشين:

«آسف لما حدث. سآخذها الى البيت».

وقبض على ذراعها بقوة، لكنها استطاعت ان تفلت من قبضته. وقالت:

«ماذا تريد مني، هل انت مجنون؟».

والتفتت الى سائق السيارة، وقالت له متوسلة:

«من فضلك لا تتركني معه. لا اعرف ماذا يريد مني. انه رجل غريب».

وبخها دومنيك بعنف قائلاً:

«كفي تصرفاً مثل الصغار الحمقى. هيا الى السيارة. ولا داعي لكل هذا المشهد السخيف».

«لن اعود الى بيتك ثانية بعد ان طردتني».

ثم اتجهت الى الزوجين قائلة بتوسل:

«لا اريد الذهاب معه. انه غريب عني ولا يعرف حتى اسمي. اسألوه اذا كان يعرف اسمي».

كان الزوجان يراقبان المشهد بحيرة واستغراب، ثم تقدم الزوج من دومنيك قائلاً:

«يبدو ان الآنسة على حق. هل تعرف اسمها؟».

«اسمها موروينا. . .».

قال دومنيك بهدوء وهو يبتسم. حدقت موروينا بوجهه في دهشة، وشفتاها ترتجفان من الغضب والخوف، وسألته بحنق:

«ولكن من اين عرفت اسمي؟ لم اخبرك به، ولم اخبر حتى مارك. كيف عرفت؟».

انزل الرجل الحقائب من السيارة وهو يضحك. واخذ دومنيك

الحقائب وقادها من ذراعها الى سيارته.

سارت معه شاعرة بغضب واذلال كبيرين. وقالت له وهما في السيارة:

«لن اغفر لك هذا. اقسم انني سأنتقم منك. وستأسف كثيراً على ما فعلته بي».

«انني آسف الآن. آسف لانني آخذك الى هناك. لا لانني اود رؤيتك في بيتنا، لكن يبدو ان لعبتك قد نجحت، وان عمي يريد رؤيتك الآن».

«عمك؟ ولكنك قلت...».

«اعرف جيداً ما قلته...».

قاطعها، وهو يخرج يده من نافذة السيارة محيياً الزوجين وهما يبتعدان بسيارتهما. ثم استمر قائلاً:

«لقد اخفيت الأمر عن عمي، لكن يبدو انك ذكية. تركت تلك الرسوم على مكتبي عن قصد، ورأتها انيز...».

«معذرة، لقد نسيت الرسوم هناك، ولم اتركها عمداً».

«تعرفت عليك انيز حين شاهدت الرسوم».

«لم اكن اقصد ذلك. كنت مضطربة. لقد نسيتها هناك، الم يخبرك مارك؟».

«اوه، لقد اخبرني. يبدو انه افتتن بك. ربما وجدته سهل المنال بعض الشيء. لكنك ستجدينني اكثر صعوبة منه».

«انه اكثر ادباً ولطفاً منك...».

«يبدو انك احببته ايضاً...».

«من حسن الحظ، لا ارغب في المحاولة، وكما قلت لك لست راغبة في رؤية بيتك مرة اخرى. كم اود لو انك جلبت تلك الرسوم

معك، اذن لتركتني هنا اذهب الى سبيلي».

«هذا ما حاولت فعله. لكن رسومك اللعينة لم تعد معي. انها الآن مع عمي وهو يريدك».

«اظن ان هذا آخر ما تريده انت...».

«نعم في الحقيقة. لكن انيز حين رأت الرسوم اخذتها مباشرة اليه».

«ولماذا فعلت ذلك؟».

«هل تحاولين اقناعي بأنك لم تدفعيها الى ذلك بشكل غير مباشر؟».

«بالطبع لا، يجب ان تصدقني... انني ان لا تسبب تلك الرسوم اي اذى له».

«كلا من حسن الحظ. لكنه يريد ان يراك».

ساد صمت طويل الى ان قطعته موروينا قائلة:

«لا اريد رؤيته من فضلك».

«ولماذا؟ الم تأت الى هنا لهذا السبب؟».

«لكن لم اعرف ان الأمور تجري بهذا الشكل».

«هل لأن مارك اخبرك بالقصة، فتغيرت الأمور عندك؟ اذا كان عمي يريد رؤيتك لبرهة فاظن ان من الانصاف تلبية طلبه».

قالت له وقد وصلا الى البيت:

«ولكن من اين عرفت اسمي؟».

اجاب بسخرية:

«مجرد تخمين. موروينا اسم من تريفيتون، ويبدو ان لاورا كيرسلاك سرقته ضمن ما سرقت».

نزلت من السيارة وسارت معه بدون كلمة.

كانت انيز واقفة تنتظر في الصالة بلهفة. وحالما دخلت احتضنتها قائلة:

«اوه يا ابنة لاورا! كيف لم اعرفك يا عزيزتي؟».

صاح دومنيك بها:

«انيز! دعي العواطف الآن. سأقول لك بعض كلمات فيما بعد».

تركت انيز مورووينا. وقالت له:

«لم يكن من الانصاف ان تكون ابنة السيدة لاورا هنا، بدون ان يعرف السيد نيكولا بذلك».

«حسناً لقد عرف الآن. والفضل يعود لك. فهيا خذيها اليه».

«سيراها غداً في الصباح انه نائم الآن».

«نائم!! الآنسة كير سلاك لا تستطيع الانتظار الى الغد، فهي تريد ان تلحق بقطار الصباح الذاهب الى لندن».

«لا يمكن فعل شيء الآن. كان متعباً وتناول حبة منومة. وهو مستغرق الآن في نومه».

«فهمت. اذن لا داعي لأن اطلب منك تهيئة غرفة للآنسة كير سلاك».

«بالطبع. فغرفتها جاهزة. هي الأخرى متعبة بالتأكيد... تعالي يا عزيزتي معي...».

كانت مورووينا تتمنى لو انها نامت في مكان غير هذا البيت. لكن تعبها كان فوق طاقتها، فمشت وراء انيز الى الطابق الثاني. ودخلت الى غرفة واسعة. كان الفراش مهيئاً والنار في المدفأة تشيع الدفء في ارجاء الغرفة. وعلى فراشها كان هناك ثوب نوم من الطراز القديم. وحين رفعته الى وجهها، اجهشت في بكاء عنيف، لكن انيز

احتضنتها مرة ثانية وهي تقول:

واهدأي يا عزيزتي... نامي الآن بهدوء، انت متعبة، سيسير كل شيء على ما يرام غداً».

لكن مورووينا، وهي في الفراش، فكرت ان الأمور ربما ستؤول نحو الأسوأ في الغد.

٤ - الحب بعد صفعة!

حين استيقظت من نومها، كان ضوء ضعيف وشاحب يتسرب من خلال ستارة منفرجة جزئياً. ظلت متمددة في فراشها بعض الوقت، مضطربة، مشوشة الفكر، لا تعرف اين هي، حتى عادت الى نفسها. ورغم انها نامت جيداً في الليل، الا انها ما زالت لا تعرف الهدوء وراحة البال، لأنها ستقابل نيكولا تريفينون.

تركت فراشها وذهبت الى الحمام، ودخلت في حوض الماء الدافىء وهي تفكر لماذا طلب نيكولا تريفينون رؤيتها. وايقنت من حديث مارك في الليلة الماضية، انها اخر شخص على وجه الأرض يود السيد تريفينون رؤيته. وتساءلت بقلق:

«ترى ما الذي سيقوله لي حين نتقابل بعد برهة؟».

لكنها صممت على ان لا تسمح له بأن يطعن بوالديها امامها. لقد سمعت ما يكفي من الاهانات توجه اليهما. ربما جرحت لاورا وزوجها مشاعرهم، بيد ان هذه ليست جريمة تستحق كل هذا التجريح والطعن.

ارتدت ثيابها ومشطت شعرها وتركته ينساب على كتفيها. كانت الساعة العاشرة حين نزلت الى الطابق الأرضي. وكانت الابواب كلها مغلقة باستثناء باب مكتب دومنيك. لكنها لم تشعر بأية رغبة في رؤيته.

وقفت عند نهاية السلم وهي تتلفت فيما حواليها بارتباك، ولم يطل انتظارها كثيراً، اذ سرعان ما انفتح الباب الرئيسي وهجمت موجة هواء بارد الى الـ...الة، ثم دخل كلبان كبيران اخذا ينبحان بصوت عال حينما انتبها اليها. جمدت مورروينا في مكانها، لكنها هدأت بعض الشيء حين دخلت فتاة طويلة ورشيقة ذات شعر اسود مسرح بعناية، وثياب انيقة منسجمة مع تقاطيعها. وتوقفت في مكانها اذ رأت مورروينا واخذت تحدق فيها بدهشة. ثم سألتها:

«من انت؟».

همت مورروينا ان ترد عليها بأن هذا ليس من شأنها. لكنها تمالكت نفسها وهي تفكر في مخاطر مثل هذا الجواب خاصة وقد بدت الفتاة واثقة من نفسها ومن مكانتها في البيت.

«اسمي مورروينا».

اجابتها بايجاز وهدوء. وحين طال الصمت والفتاة ما تزال تحدق فيها، سألتها مورروينا:

«اهي كلاب شرسة؟».

«لا تخافي فهي لن تؤذيك. لكنها استغربت حين رأتك غريبة عن

هذا البيت».
«هل تدليني الى غرفة السيد تريفينون، من فضلك؟».
«السيد تريفينون؟».
سألت الفتاة باستغراب، واضافت:
«انني في الحقيقة. . .».
«حسناً كارين. سأهتم أنا بأمرها».
قاطعها دومنيك وقد ظهر من غرفته واقترب منها. حدقت فيه موروينا جيداً. كانت هذه هي المرة الأولى التي تشاهده في وضح النهار. كان يرتدي بذلة انيقة وبدا وجهه هادئاً وودوداً.
وقال بصوت عطوف:
«صباح الخير، آنسة كيرسلاك. اتمنى ان تكوني نمت جيداً. هل تناولت فطورك؟».
«كلا. . . اظن انني تأخرت على الفطور».
«بالعكس. هل تظنين اننا تركناك بلا فطور. انيز في غرفة الطعام وقد اعدت كل شيء».
وفتح احد الابواب مؤشراً الى موروينا بالدخول. تبعته قائلة بدون ان تنظر في وجهه:
«شكراً لك. . .».
«حين تنتهين من فطورك، ستأخذك انيز الى عمي».
«حسناً، وكيف حاله هذا الصباح؟».
«انه في حالة جيدة. فقد سأل عنك حالما استيقظ من نومه. يبدو نه كان قلقاً من انني لن اقدر على اقناعك بالعودة الى البيت».
«يبدو انه لا يدرك قدرتك على الاقناع».
«شيء آخر ارجوه منك. حاولي جعل مقابلتك معه قصيرة قدر

الامكان».
«لا تقلق، فرغبتي في ترك هذا المكان بأسرع وقت، لا تقل عن رغبتك».
دخلت موروينا. وسمعت باب الغرفة وهو يغلق. ثم سمعت صوت الفتاة الاخرى وهي تسأل:
«يا حبيبي من هي هذه الفتاة؟».
اذن هذه الفتاة حبيبته. وربما خطيبته. ترى هل هناك امرأة على وجه الأرض يمكن ان تعجب به. فكرت موروينا. ثم حاولت ان تتذكر فيما اذا كانت الفتاة تلبس خاتم خطبة. لكنها فشلت.
دخلت انيز وهي تحمل صينية كبيرة. وهتفت حالما شاهدتها:
«ها انت اذن يا عزيزتي. تعالي قبل ان يبرد فطورك».
وبينما هي تتناول فطورها، قالت لانيز:
«اظن انه كان من الأفضل لو لم تأخذي تلك الرسوم الى السيد تريفينون».
نظرت انيز اليها وقالت متسائلة:
«ولماذا لا؟ هناك اشياء كثيرة خافية في هذا البيت، يجب ان تنكشف».
«هل يحق لي ان اسأل ما هي هذه الاشياء؟».
«اشياء عديدة ما تزال بدون ايضاح. السيد نيكولا مثلاً قابع في غرفته، حزين على فقدان شيء لم يكن له ابداً».
«يبدو انك كنت تحبين امي».
«ولم لا؟ بالطبع كنت احبها».
انتهت من فطورها، فصبت لها انيز قهوتها. رفعت الكوب وذهبت نحو النافذة، واخذت تتأمل الحديقة الخضراء والزهور

المتناثرة فيها، ثم وضعت الكوب على المائدة وهي تفكر في العثور على جهاز تلفون حتى يمكنها استدعاء سيارة تاكسي لتأخذها من هنا حالما تنتهي مقابلتها للسيد تريفينون. مشت الى خارج الغرفة، كان البيت غارقاً في صمت غريب، وكأن الجميع قد غادروه وتركوها وحدها فيه. وكانت الغرف مغلقة باستثناء احداها فاتجهت اليها ووقفت امامها، ثم اخذت شهيقاً عميقاً وهي تسمع دقات قلبها من شدة اضطرابها. وطرقت الباب.

«نعم. من؟ تفضل ادخل».

كانت غرفة واسعة ومضيئة، ذات نوافذ واسعة تطل على المرتفعات الصخرية القائمة على البحر. والى جانب نافذة يجلس رجل على كرسي ذي عجلات، وقد غطى ساقيه ببطانية. ابتلعت مورويتا ريقها ثم مشت اليه. وقالت وهي تحاول جهدها لاخفاء ارتباكها:

«السيد تريفينون؟».

ادار وجهه نحوها وتطلع اليها. تفاجأت مورويتا، اذ لم تكن تتوقع ان تجده على هذه الهيئة. ربما كانت تتخيله نسخة اخرى من السيد دومنيك تريفينون، لكن في سن اكبر منه. غير انها بالتأكيد لم تكن تتوقع هذا الرجل بوجهه المرهق وشعره الرمادي الضارب الى البياض، وعينيه اللتين تشعان ألماً وهما تتأملانها. كانت هنالك طاولة صغيرة الى جانب كرسيه، عليها رسومها.

قالت بهدوء:

«كنت اجهل حقيقة الأمر حين جئت الى هنا. لم يخبرني احد بذلك. انني اسفة جداً وارجو ان تعذرني يا سيد تريفينون».

قال بصوت خشن متجاهلاً حديثها:

«انت تشبهينها جداً...».

«نعم. كان ابي يقول هذا دائماً».

«الا تتذكرينها جيداً؟».

«كنت في الثامنة حين توفيت. اتذكر بعض الاشياء لا اكثر».

«مثل ماذا؟».

صمتت للحظة، ثم قالت وهي تتحدث ببطء وتؤدة:

«كانت تبدو سعيدة وتحب الآخرين، حتى حين اصابها المرض. وكانت تذكر هذا المكان دائماً - تريفينون واهله - بسعادة وحنين».

سكتت للحظة ثم هزت رأسها قائلة:

«لكن على ضوء ما سمعت، يبدو ان كلامها كان زيفاً».

«كلا...».

قال واغمض عينيه، ثم اسند ظهره الى كرسيه في حالة استرخاء واردف:

«هذا يثبت صحة ظني في لاورا».

توقف عن كلامه، وساد الصمت بينهما. وظلت مورويتا في مكانها حائرة ماذا تفعل. هل تأخذ رسومها وتترك المكان. ام تنتظر لترى ماذا ستكون نتيجة الأمر؟.

فتح عينيه اخيراً، وتطلع اليها ثانية. وقال وهو يؤشر الى كرسي خلفها:

«تفضلي بالجلوس. واعذريني لانني لم انهض لاستقبالك. انني اعاني من الم في ساقي، لا استطيع ان امكث هكذا، علي ان اتعود على المشي ثانية».

ثم ادار كرسيه الى جهة اخرى واشار بيده الى طاولة عليها مجموعة من الأوراق قائلاً:

«بدأت في كتابة تاريخ عائلة تريفينون. وعليّ ان انهيه. لا بد ان والدتك اخبرتك عن بعض قصص العائلة وأساطيرها».

«ليس كثيراً. لقد حدثتني عن طفولتها وصباها هنا».

«لكنها سمتك مورّوينا. كانت تردد دائماً انها لو رزقت بطفلة ستسميها بهذا الأسم. كنت اتخيل ان هذه الطفلة ستكون طفلتي. آسف، لا اقصد ايذاءك، سمعت بدون شك بما حدث قبل تلك السنوات الطويلة».

«نعم... سمعت».

«لقد احببت والدتك منذ اللحظة التي جاءت الى هنا، وكانت بعد صبية. لكنها لم تبادلني الحب. كانت تعطف علي، وقلت ان هذا يكفيني».

«سيد تريفينون...».

قالت مورّوينا، لكنه قاطعها قائلاً:

«نيكولا... سمني نيكولا. الجميع يدعونني بهذا الاسم، ما عدا لاورا بالطبع. كانت دائماً تدعوني دومنيك. كانت تحب هذا الاسم. لكن ما دام ابن اخي يحمل هذا الاسم، فان استعمالي له يسبب الارباك».

«نعم».

قالت مورّوينا بتوتر.

«لم تحبي ابن اخي بالتأكيد».

قال مبتسماً واضاف:

«واعرف ان استقباله لك كان غير ودي، لكن هذا انتهى الآن يا عزيزتي».

«في الحقيقة، جئت هنا لاسألك ان تحتفظ برسوم والدتي. ثم

علمت بما يفترض ان والدتي قد ارتكبته. وعوملت بتلك المعاملة الوقحة. والآن وقد قابلتك، وعرفت طيبتك وسماحتك، قررت ان اهديك هذه الرسوم».

هز رأسه مبتسماً وقال:

«حسيا سمعت، هذه الرسوم هي كل ما بقي لك من بيتك. الا يكون من الافضل لو انك استمعت الى ما سأقترحه عليك؟».

«ولكن وقتي قصير. علي ان الحق بقطار لندن اليوم. واعود لكي ابدأ البحث عن عمل».

«تستطيعين ان تمنحيني بعض الوقت. يعرف الله اني انتظرت طويلاً. وقد تمنيت دائماً ان تكون لاورا من ستأتي الى هذه الغرفة. لكن ذلك يبدو اكثر مما كنت اطمح اليه».

«اظن انها كانت ستقابل باستنكار في هذا البيت».

«كلا، ليس الأمر كذلك».

«لقد تأخرت، لا بد ان اذهب».

«كلا، انتظري».

اعترضها بيده، فتراجعت مورّوينا الى مقعدها ثانية، ثم اضاف قائلاً:

«آسف يا صغيرتي. اعرف ان الحيرة قد اصابتك. وانك محقة في ذلك. تستغربين بدون شك لماذا يحقد الجميع في هذا البيت على والدتك. لكني آسف على ذلك حقاً. انني اذكرها دائماً باحترام، علماً ان الخطأ ارتكب بحقي».

«لا اظن ان والدتي ارتكبت خطأ ما في حق احد. لا بد ان هناك التباساً في الأمر».

«ليس هناك اي التباس. سرق شخص ما في هذا البيت،

تصاميم الزورق (لاورا) وباعها الى شركة اخرى. هل والدتك من فعلت ذلك لا اعتقد».

«ما دمت تعرف ان والدتي بريئة، فلماذا لا توضح هذا الأمر للآخرين؟».

هز نيكولا رأسه بيأس وقال بعد صمت طويل:

«حين وقعت هذه الحادثة، كنت متألماً وغاضباً. لقد احببت والدتك وعرضت عليها الزواج، لكنها ماطلت في جوابها، فأقنعت نفسي انني سأفوز بها في النهاية، وتركت الآخرين يعتقدون بأنها ستكون زوجتي. ثم التقت بوالدك، وحين اخبرتني بانهما يحبان بعضهما، اصابني غضب جنوني. وانذرتها بأنه لا يمكن لحبيبها الجديد ان يدخل تريفينون ثانية. وفرا معاً في الليلة التالية. ولم ارها ثانية بعد ذلك».

«ولكن ما الذي حدث بتصاميم الزورق؟».

«لقد اختفت فجأة من المصنع. وظننت في بادىء الأمر ان لاورا اخذتها خطأ لكن حين شاهدت النسخة المزورة من الزورق في المعرض، ايقنت ان احداً ما قد سرق التصاميم وباعها. وكان شقيقي، والد دومنيك ما يزال حياً انذاك، فوجه اتهامه اليها».

«ولكن لماذا لا توقفهم عند حدهم، ما دمت واثقاً من براءة والدتي؟».

«في البداية وافقتهم على اتهام والدتك. لقد حقدت عليها لعلاقتها بوالدك، ورغبت في الانتقام منها. وحين كتبت الي رسالتها، لم اخبر احداً بذلك. انيز وحدها عرفت بالأمر لأنها هي التي جلبت الرسالة».

«هل كتبت اليك؟».

«نعم. كتبت تسألني العفو، وتخبرني بسعادتها مع والدك. وانذاك ادركت انها بريئة. لأنها لو كانت مذنبة لما جرؤت وكتبت الي، خاصة وقد عرفت ان اصابع الاتهام موجهة اليها».

«ولكن لماذا لا تحاول كشف هذا الأمر للآخرين؟».

قال بعد صمت قصير:

«لو كشفت عن براءة لاورا، لكان ذلك يعني ان شخصاً اخر في هذا البيت قد سرق التصاميم وباعها. خاصة ان الذين كانوا يعرفون بأمر المشروع هم قلة هنا. لذا آثرت الصمت، وترك اللوم يقع على عاتق لاورا بدلاً من فتح جبهة اخرى من الشكوك والتحقيقات، مع ما يقود اليه هذا الأمر من كوارث. ايقنت ان من كان يحقد على لاورا له يد في هذه الجريمة. وتركت الموضوع ليخمد مع الزمن. لكن اخي ظل يثيره باستمرار بتحريض من زوجته. وعرفت ان هناك اخرين متورطين في هذا الموضوع. فسكت عن الأمر، وبحثنا عن كبش فداء لكي نحمله جريمة غيره. فكان ذلك الكبش والدتك. غير اني بعد ان هدأ غضبي اسفت على ذلك جداً. وخففت الأمر على نفسي بانها لن تعرف بالأمر. وحين لم اجبها على رسالتها، ايقنت بأنها لن تجازف بالكتابة الي مرة اخرى».

ثم تطلع الى وجه موروينا بحب واستمر في حديثه:

«اذا كنت ترغبين في الانتقام مني نيابة عن والدتك، فانك تستطيعين ذلك ببساطة يا عزيزتي. ان تأخذي رسومك وتتركي هذا البيت. وبذا تخرجين من حياتي الى الابد. ولكنني آمل ألا تفعلي ذلك».

ظلت موروينا جامدة في مكانها، وقد خيم صمت عميق لفترة. ثم اطلقت تنهيدة قصيرة وقالت:

«كلا لن افعل ذلك. اظن ان ما حدث يكفي».
«اذن متبقين؟»
«نعم. لكن لفترة قصيرة. فعلي ان الحق بالقطار. . . .».
هز نيكولا رأسه بانفعال قائلاً:
«كلا . . . كلا. لقد اسأت فهمي. اريدك ان تبقي هنا صغيرتي. ليس عندك مكان تذهبين اليه. اريدك ان تعيشي هنا وان يكون تريفينون بيتك».
«اوه، كلا. هذا لا يمكن».
«ولماذا لا؟».
«لاسباب عديدة، منها ان ابن اخيك يكرهني، وهو ببساطة لا يريدني هنا».
«واذا ما رغبت انا في شيء، فليس في مقدور احد ان يعترض».
«ثم انني اريد العثور على عمل لاعالة نفسي. لا يمكن ان اعيش على الاحسان طوال عمري».
«من الذي تحدث عن الاحسان؟ ثم هناك عمل لك. فأنا اريد من يساعدني في اتمام كتابة تاريخ تريفينون».
«ولكن ليست لدي خبرة في السكرتارية».
«تستطيعين الكتابة بدون شك، اليس كذلك؟ هذا كل ما اريده. ها انت تشاهدين انني شبه مشلول ولا استطيع انجازه لوحدي وحين تنتهي من مسودة الكتاب، سنبعثها الى سيدة في بورت فينور وهي التي ستطبعها على الآلة الكاتبة. حسناً ماذا تقولين الآن؟».
ظلت موروينا صامتة وعلامات التردد على وجهها. اضاف هو قائلاً:
«يا عزيزتي. انك ستساعدينني كثيراً، ليس فقط في موضوع

الكتاب، انما سيكون بامكاني البدء بالتحري، وكشف براءة لاورا. كوني كريمة وساعديني على العيش بسلام بعد كل هذه السنوات».
لو انها فقط تستطيع الكشف عن براءة امها. وان ترى اهل تريفينون يعتذرون منها على ما ارتكبوه بحقها. لا بد ان تعمل على اظهار الحقيقة اذا كانت امينة لذكرى امها.
قالت بهدوء:
«حسناً يا نيكولا. سأبقى حتى الانتهاء من الكتاب».
«موافق . . .».
قال فرحاً ومد يده اليسرى اليها، فوضعت يدها فيها، وقال بعد توقف قصير:
«لا تظني يا صغيرتي ان مشروع الكتابة مجرد عذر لبقائك، فستجدينني مديراً حازماً. ولكني اقول ان هذا اليوم من اسعد ايام حياتي. والآن اذهبي وابعثي الي انيز كي اشرح لها ما تم الاتفاق بيننا. وبعد الغداء سنواصل العمل».
كانت في منتصف الطريق على السلالم حين قالت لنفسها: «يا الهي ما الذي فعلت؟ هل حقاً سأبقى هنا؟».
لكن دومنيك ظهر فجأة من مكتبه، ووقف في اسفل السلم قائلاً:
«حالما تنتهين يا آنسة كيرسلاك، ساخذك بسيارتي الى بنزاس».
«لا ارغب في الذهاب».
قالت بنبرة صارمة وواثقة، وقد ارتسم على وجهها علامات التحدي.
«عفواً ماذا قلت؟».
«قلت، انا باقية هنا. طلب مني عمك ان اعينه في مشروع كتاب تاريخ تريفينون. انه بحاجة الى من يساعده في الكتابة».

«يا إلهي. لقد نجحت خطتك اذن، ايتها المتآمرة الصغيرة!».

قال هذا وقد اصفر وجهه من الغضب. لكن موروينا اجابته باعتداد وثقة:

«لا تنسَ يا سيد تريفينون، ان امر اللقاء مع عمك كان من تدبيرك انت».

«ليس من طبعي ان انسى اي شيء. حسناً، لقد شاهدت البيت يا آنسة كيرسلاك، وبدون شك ستتعرفين خلال الاسابيع المقبلة على كل املاك تريفينون وما بقي من مشروع الزوارق. ولكن اخشى ألا تجدي ما تأخذينه معك حين تتركين هذا المكان...».

«أؤكد لك اني قادرة على ذلك يا سيد دومنيك».

حدق فيها للحظة بشراسة وقد اشتد غيظه، وقال:

«هكذا اذن. انك حرباء حقاً يا آنسة كيرسلاك. ها انت تحولت خلال دقائق من غريبة في هذا البيت الى حبيبة للعجوز تريفينون».

«انه انسان طيب وانا سعيدة بذلك».

«انك تستغلين الوحدة التي يعانيها هذا العجوز. الا تشعرين بالعار من بيع جسدك الى رجل في عمر ابيك؟».

نزلت موروينا بقية الدرجات ووقفت امامه، وبكل ما تملك من قوة رفعت يدها وصفعته على وجهه.

احست بانها ارتكبت فعلاً احمق. وانها فقدت اعصابها مثل طفلة صغيرة، لكنها لم تشعر بأي ندم حين تذكرت والدها البريئة وكيف لوث هؤلاء الناس سمعتها الطاهرة. نظرت اليه ثانية فرأت علامات اصابعها وقد ارتسمت على صفحة وجهه. وقالت بهدوء:

«أنني آسفة».

«ستندمين على هذا يا موروينا. ستدفعين ثمن هذا غالياً. وهذا

وعد مني لك».

كانت كلماته انذاراً حقيقياً. استدار ومشى خارج الصالة بعد ان اغلق الباب الرئيسي بعنف. سمعت موروينا بعد برهة قصيرة صوت محرك سيارة. ثم ابتعد الصوت تدريجياً.

جلست على السلم، ووضعت وجهها بين راحتيها، وقالت لنفسها:

«رباه، ماذا فعلت؟».

٥ - بلا مقدمات

انغمست مورّوينا في عملها بحماس، ولم يكن لديها متسع من الوقت لتفكر في نفسها. وكانت سعيدة بذلك. اما نيكولا تريفينون فلم يكن مبالغاً حين وصف نفسه بانه مدير حازم في العمل.

استهلت مورّوينا عملها بكمية كبيرة من الوثائق والكتب والصور الفوتوغرافية التي وضعها نيكولا امامها. واخبرها ايضاً ان الشطر الاكبر من تاريخ تريفينون واساطيرها انما هو محتفظ ومتناقل في العائلة شفاهاً. والحقيقة انها وجدت تاريخ تريفينون ثرياً وضارباً في القدم. كما انها اطلعت على الكثير من القصص والأساطير المتعلقة بهذه العائلة. واخبرها نيكولا انه ما يزال هناك الكثير من هذه الاساطير في ذهنه، منها مثلاً اسطورة تتعلق باسم (مورّوينا). وحين الحت عليه

كي يسردها عليها، أجابها ضاحكاً انه سيفعل ذلك في الوقت المناسب.

حاولت مورّوينا جهدها ان لا تلتقي بدومنيك. ومن حسن حظها انه واخاه كانا ينهضان مبكرين. وحين كانت تنزل الى الطابق الأرضي يكون الاخوان قد انتهيا من فطورهما وغادرا البيت. اما دومنيك نفسه فقد كف عن اعتراضها او السؤال عنها. وبدا انه قد نسي وجودها في البيت. وفي المساء، حين كانت تنتهي من عملها، وتتأكد من ان نيكولا لم يعد يحتاج اليها، كانت تنزل الى قاعة الجلوس الكبيرة، حيث تكون انيز قد اشعلت المدفأة، فتجلس هناك قبالتها تقرأ وتستمع الى الراديو، وفي احدى الامسيات انضم اليها مارك، فرحبت به. كان أكبر منها بسنوات قليلة، وأصغر من أخيه دومنيك كثيراً. تحدثا طويلاً عن تريفينون وعن العائلة. لكن دومنيك لم يكن يقترب من قاعة الجلوس في الامسيات، بل كان يقضي اوقاته في مكتبه. وتساءلت مورّوينا: اهذه هي عادته دائماً، ام انه بدأ يتجنب قاعة الجلوس منذ جاءت هي الى البيت، حتى لا يلتقي بها؟ لكنها حسمت الأمر بأن هذا ليس من شأنها ما دام هو لا يقلق راحتها.

ذهبت في صباح احد الأيام الى غرفة نيكولا، بعد الفطور، لتبدأ عملها. لكنه اخبرها انه لا يحتاجها اليوم، لأن الطبيب قادم بعد قليل لأجراء الفحوص له.

نظر اليها وقال:

«انت متعبة من العمل. اذهبي اليوم في نزهة قصيرة، خاصة ان الجو صاح، ولا اثر للمطر».

وحين غادرت الغرفة، صاح من ورائها:

«ابقي بعيدة عن البحر، لأن الأمواج قوية وهائجة».

ذهبت الى غرفتها واخذت دفتراً للرسم وعلبة اقلام. وكانت انيز هناك ترتب الغرفة. فقالت لها:

«ما دمت تذهبين الى الخارج، اجلبي معك عدداً من البيض، اذا ما مررت قريباً من حقل السيدة هاريك».

غمرت موروينا سعادة كبيرة ومفاجئة حين اصبحت خارج البيت، وكأنها تلميذة صغيرة اطلقوها من المدرسة فجأة. ولم يخامرها هذا الشعور لأنها كانت تكره العمل مع نيكولا، بل بالعكس، كانت سعيدة معه. لكنها رأت نفسها وحدها لأول مرة منذ ان جاءت الى تريفينون. وفي هذا سعادة كبرى لها.

اتخذت طريقها الى ناحية البحر مسترشدة بهدير الأمواج. وكانت الرياح قوية، تنشر شعرها على وجهها. وحين وصلت الى المرتفعات الصخرية المطلة على البحر، شاهدت الامواج الهائجة وهي تصطدم بالصخور محدثة هديراً عنيفاً، وناشرة كمية هائلة من الرذاذ الأبيض.

تأملت البحر طويلاً، وبالرغم من سعادتها بذلك، الا انها احست بخيبة امل حين لم تلمح اي اثر للفقمات، تلك الحيوانات البحرية الرمادية اللون. لكنها تذكرت ان هذه الحيوانات ستعود الى هنا مع مطلع العام القادم. لكن هل ستكون هي نفسها هنا في ذلك الوقت؟

مشت طويلاً فوق تلك الصخور العالية، وهي تتأمل فيا حواليها. وبالرغم من انها عاشت سنوات طويله في الريف، الا انها احست هنا برهبة وخوف يتسربان الى قلبها، من الوحدة تحت هذه السماء الشاسعة، والصخور والبحر وهدير الامواج. وجلست بجانب صخرة كبيرة تستطيع الاحتماء بها من الريح، وهيأت دفترها واقلامها وبدأت في تخطيط بيوت بورت فينور وبقايا المنجم. لكن

الريح الشديدة كانت تعصف بها وتوشك ان تمزق اوراق الدفتر، وهي تفكر الى اين ستنتهي حياتها والى متى ستبقى في تريفينون.

بعد فترة قصيرة انتابها الضجر، فمزقت الورقة والقتها للريح، ونهضت لتذهب الى حقل السيدة هاريك لتأخذ البيض وتعود الى البيت. لم تكن تعرف الطريق الى الحقل، فقررت الوصول الى الطريق الرئيسي اولاً. وبينما هي تسير سمعت صوت محرك سيارة من خلفها فانسحبت الى جانب الطريق، لكن صوت المنبه لم يكف بالرغم من وجود مكان كاف لعبور السيارة تماماً. كانت سيارة مارك، فهتف بها وهو يلوح لها بيده:

«اهلاً. . . هل استمتعت بوقتك؟ هيا. . . سأوصلك الى حيث تريدين».

بعد تردد قصير اجابته، وهي تفتح باب السيارة وتصعد:

«انني ذاهبة الى حقل السيدة هاريك لآخذ كمية من البيض طلبتها انيز».

«حسناً، سآخذك الى هناك».

بعد دقائق من الصمت سألها مارك ثانية وهو يضحك:

«كيف يسير العمل في مشروع الكتاب؟».

«ببطء. . . ما زال امامنا الكثير من العمل».

«اوه، هذا مؤسف».

اجابته بعد ان تأملته طويلاً، وهي تبتسم:

«لماذا؟ الأنه يعني انني سأبقى في بيتكم مدة اطول؟».

«يا الهي. كلا، لا اعني هذا».

«ماذا تعني اذن؟».

«اعني ان عمي رجل مريض، ولا نريد ان يرهق نفسه كثيراً حتى

تنتكس صحته، بالرغم من انه يشعر بتحسن كبير هذه الأيام. ونحن نشكرك على ذلك».

«نحن؟».

سألت بدهشة وهي ما تزال تبتسم.

«بالطبع. حتى دومنيك. كان اعتراضه على بقائك في البداية، هو لخشيته من ان تسبب رؤيته لك صدمة اخرى له. لكن النتيجة جاءت عكس ذلك تماماً».

«لكن دومنيك لم يغير مني موقفه حتى الآن».

«تعرفين ان احزان واحقاد كل تلك السنين لا يمكن ان تتلاشى خلال ايام».

لم تجبه مورورينا. وظل هو ايضاً صامتاً حتى وصلا الى مفترق طريق. فأوقف السيارة واشار الى طريق الحقل قائلاً:

«ذاك هو حقل السيدة هاريك. وحين تعودين الى البيت هناك طريق مختصر. اسألي السيدة حتى تدلك عليه».

اخلت مورورينا البيض، وحين استفسرت السيدة هاريك عن سبب وجودها المفاجىء في تريفينون، اعتذرت لكونها يجب ان تسرع في العودة لأن انيز تنتظرها. وودعتها بعد ان شرحت لها الطريق المختصر الى تريفينون. وقريباً من البيت تسلقت حائطاً صغيراً، ودخلت الى باحة كبيرة كان عليها ان تجتازها قبل الوصول الى البيت. كانت هذه الباحة جزءاً من بناء قديم ملحق بالبيت الكبير، يحوي مخزن الغلال وادوات الفلاحة التي تعود الى انيز، واصطبلات كانت تستعمل ايام كانت تريفينون مزدهرة. هناك سمعت صوت كلب يقترب منها، فانتابها الخوف، رغم انها كانت تحب الكلاب منذ الصغر، وهرعت الى البناية القديمة. لكن الكلب تبعها الى هناك.

ووجدت نفسها في غرفة واسعة ومظلمة بعض الشيء، فيها معاول وفؤوس وكميات كبيرة من الحطب والقش. كما شاهدت سلماً خشبياً يقود الى مخزن علوي. فتسلقت السلم حتى تكون في امان اكثر هناك. دخل الكلب وراءها وظل عند اسفل السلم ينبح ويقفز، محاولاً الوصول اليها، كان احد الكلبين اللذين اعترضاها في الليلة التي جاءت فيها الى تريفينون. غير انها منذ ذلك اليوم لم تشاهدهما. وحين سألت انيز عنهما، اجابتها انهما غالباً ما يمكثان خارج البيت، في البناية الملحقة.

ظلت مورورينا محبوسة في المخزن العلوي فترة طويلة من الزمن، وقد جمدت من الخوف، لا تدري ماذا تفعل ولا كيف تبعد الكلب عنها. وفكرت انه ربما دومنيك هو الذي علم الكلب على معاداتها، لكنها سرعان ما سخرت من اوهامها.

هدأ الكلب، حين سمع صوت اقدام قادمة في الباحة. فهتفت مورورينا من مكانها متوسلة، قبل ان يبتعد العابر من الغرفة:

«من فضلك، هل تبعد هذا الكلب عني؟ انني خائفة».

توقف العابر للحظة، ثم جاء صوت اقدامه وهو يقترب من الغرفة. ظنت انه زاك يقوم بعمله هنا. لكن سرعان ما التقت عيناها بعيني دومنيك حين دخل الى الغرفة وصاح:

«يا الهي. ماذا تفعلين هنا؟».

«هربت من كلبك».

«انت مجنونة! الا تعرفين انه لا يؤذيك».

«ابعده عن السلم، حتى انزل...».

«هيا... هيا انزلي، لا تخافي».

قعد الكلب عند ساقي دومنيك، وراح يتمسح به محركاً ذيله. اما

موروينا فقد بدأت في النزول، غير ان قدمها انزلقت في منتصف السلم، فأطلقت صرخة قوية وافلتت علبة البيض من يدها. لكن يداً قوية امسكتها من خاصرتها وانزلتها على الأرض. كانت ترتعش من الخوف والانفعال وقد امتلأت عيناها بالدموع.

قال دومنيك لها ساخراً:

«ماذا كنت تفعلين؟ تستكشفين خفايا تريفينون؟».

حدقت موروينا في وجهه بغضب، تمنت لو ان علبة البيض ما تزال في يدها، لتضرب بها وجهه. ثم اجابته بصوت مرتعش:

«كلا... كنت اجلب البيض لانيز من حقل السيدة هاريك».

انتبهت فجأة انه ما يزال يمسكها من خاصرتها. فاحست بالحرارة تصعد الى وجهها. وقالت وهي تبتسم من بين دموعها:

«ان كلبك يكرهني».

«ما زلت غريبة عليه، سيعتاد عليك بمرور الزمن».

«انت تكرهني ايضاً... والكلب يحس بذلك».

«اهكذا حقاً؟».

قال مبتسماً وسحبها نحوه واقترب بوجهه من وجهها.

فأصابها الذعر وحاولت ان تفلت من بين يديه، لكن بدون جدوى. وقالت وهي ترتجف بعد ان تخلص منها.

«ما كنت اظن ان هناك ذئاباً مع الكلاب في هذا البيت».

«الا تذكرين انك تمنيت، أن يقع ملك كورنوول في هواك؟ ها هي امنيتك قد تحققت».

«لكني اكرهك، ولا اود رؤيتك».

ابتسم دومنيك، وقال وهو يتأمل وجهها مبتسماً:

«اظن انك تعلمت من تاريخ عائلتنا، انه اذا ما احببنا شخصاً

نظل اوفياء له».

«من الأفضل ان توفر عواطفك لامرأة اخرى».

خيم الصمت عليهما، وكانا ما يزالان يقفان في مكانهما بدون حركة. وحين طال الصمت سألت نفسها: لماذا امكث معه في هذه الغرفة المظلمة؟

«من فضلك لو شرحت لانيز ما حل بالبيض».

«بل سأذهب الى الحقل واجلب غيره».

«شكراً...».

اجابته وتركت الغرفة. كان الجو بارداً في الخارج، فرفعت ياقة سترتها حتى تغطي رقبتها اتقاء للريح الباردة. واحست بحقيقة مرة تستقر في اعماقها شيئاً فشيئاً، هي انه ليس هناك شيء يبقيها في تريفينون سوى حب دومنيك!

٦ - حجر في الماء

كان الجميع صامتين أثناء الغداء. وبدا نيكولا مشغول البال. اما موروينا فقد اجبرت نفسها على تناول القليل من الطعام، وكانت منشغلة الذهن هي الأخرى، تستعيد ما حدث لها في الصباح مع دومنيك في تلك الغرفة المظلمة. وشعرت انها بحاجة شديدة لأن تفكر اكثر فيما حدث، وفي الشعور الذي انتابها نحوه. اختطفت نظرة الى نيكولا، كان متعباً ومنهك القوى. وبدا اكبر مما كانت تراه دائماً، وكأنه شاخ فجأة. ربما انبأه الطبيب ان نتائج الفحوصات غير مشجعة. لذا فانها ذهلت حين اعلن بشكل مفاجىء عن نيته في القيام بجولة، بعد الظهر. فسألته مندهشة:

«جولة! أين؟».

موريت فيتورء.

لكن انيز تدخلت قائلة:

«لنرَ ماذا سيقول دومنيك. اظن ان صحتك لم تتحسن بعد، حتى تبدأ في الركض».

ضرب نيكولا الأرض بعصاه. وصاح بها:

«عليك اللعنة ايتها المرأة. من قال انني سأركض؟ هل تعتقدين انني سأبقى حبيس هذا البيت حتى الموت؟».

ثم سكت وقد بدا عليه الاعياء التام، واردف قائلاً بعد لحظات:

«لم اتخل بعد عن حوض الزوارق، ولم اتنازل عنه...».

هدأته انيز قائلة، وهي تغادر قاعة الطعام حاملة الأطباق الى المطبخ:

«لا أقصد ذلك. ما اعنيه هو ان تأخذ الأمور على مهل».

قالت له موروينا، وقد اصبحا وحدهما:

«انها على حق».

«لتذهب الى الجحيم. لا بد ان اذهب الى الحوض. هناك شيء اريد جلبه».

«الا يقدر احد ابناء اخيك ان يجلبه لك؟».

«يقدرون بالطبع، اذا ما طلبته منهم. لكني اريد جلبه بنفسي لأسباب عديدة».

ثم تأمل موروينا بعض الوقت. وقال لها:

«تستطيعين انت جلبه لي. انه ملف اخضر يحمل رقم ب. و/٣٣ في خزانة الملفات في مكتب دومنيك».

اجابته موروينا بدهشة:

المتناثرة فيها، ثم وضعت الكوب على المائدة وهي تفكر في العثور على جهاز تلفون حتى يمكنها استدعاء سيارة تاكسي لتأخذها من هنا حالما تنتهي مقابلتها للسيد تريفينون. مشت الى خارج الغرفة، كان البيت غارقاً في صمت غريب، وكأن الجميع قد غادروه وتركوها وحدها فيه. وكانت الغرف مغلقة باستثناء احداها فاتجهت اليها ووقفت امامها، ثم اخذت شهيقاً عميقاً وهي تسمع دقات قلبها من شدة اضطرابها. وطرقت الباب.

«نعم. من؟ تفضل ادخل».

كانت غرفة واسعة ومضيئة، ذات نوافذ واسعة تطل على المرتفعات الصخرية القائمة على البحر. والى جانب نافذة يجلس رجل على كرسي ذي عجلات، وقد غطى ساقيه ببطانية. ابتلعت مورروينا ريقها ثم مشت اليه. وقالت وهي تحاول جهدها لاخفاء ارتباكها:

«السيد تريفينون؟».

ادار وجهه نحوها وتطلع اليها. تفاجأت مورروينا، اذ لم تكن تتوقع ان تجده على هذه الهيئة. ربما كانت تتخيله نسخة اخرى من السيد دومنيك تريفينون، لكن في سن اكبر منه. غير انها بالتأكيد لم تكن تتوقع هذا الرجل بوجهه المرهق وشعره الرمادي الضارب الى البياض، وعينيه اللتين تشعان ألماً وهما تتأملانها. كانت هنالك طاولة صغيرة الى جانب كرسيه، عليها رسومها.

قالت بهدوء:

«كنت اجهل حقيقة الأمر حين جئت الى هنا. لم يخبرني احد بذلك. انني اسفة جداً وارجو ان تعذرني يا سيد تريفينون».

قال بصوت خشن متجاهلاً حديثها:

«انت تشبهينها جداً...».

«نعم. كان ابي يقول هذا دائماً».

«الا تتذكرينها جيداً؟».

«كنت في الثامنة حين توفيت. اتذكر بعض الاشياء لا اكثر».

«مثل ماذا؟».

صمتت للحظة، ثم قالت وهي تتحدث ببطء وتؤدة:

«كانت تبدو سعيدة وتحب الآخرين، حتى حين اصابها المرض. وكانت تذكر هذا المكان دائماً - تريفينون واهله - بسعادة وحنين».

سكتت للحظة ثم هزت رأسها قائلة:

«لكن على ضوء ما سمعت، يبدو ان كلامها كان زيفاً».

«كلا...».

قال واغمض عينيه، ثم اسند ظهره الى كرسيه في حالة استرخاء واردف:

«هذا يثبت صحة ظني في لاورا».

توقف عن كلامه، وساد الصمت بينهما. وظلت مورروينا في مكانها حائرة ماذا تفعل. هل تأخذ رسومها وتترك المكان. ام تنتظر لترى ماذا ستكون نتيجة الأمر؟.

فتح عينيه اخيراً، وتطلع اليها ثانية. وقال وهو يؤشر الى كرسي خلفها:

«تفضلي بالجلوس. واعذريني لانني لم انهض لاستقبالك. انني اعاني من الم في ساقي، لا استطيع ان امكث هكذا، علي ان اتعود على المشي ثانية».

ثم ادار كرسيه الى جهة اخرى واشار بيده الى طاولة عليها مجموعة من الأوراق قائلاً:

«بدأت في كتابة تاريخ عائلة تريفينون. وعليّ ان انهيه. لا بد ان والدتك اخبرتك عن بعض قصص العائلة وأساطيرها».

«ليس كثيراً. لقد حدثتني عن طفولتها وصباها هنا».

«لكنها سمتك موروينا. كانت تردد دائماً انها لو رزقت بطفلة ستسميها بهذا الأسم. كنت اتخيل ان هذه الطفلة ستكون طفلتي. آسف، لا اقصد ايذاءك، سمعت بدون شك بما حدث قبل تلك السنوات الطويلة».

«نعم. . . سمعت».

«لقد احببت والدتك منذ اللحظة التي جاءت الى هنا، وكانت بعد صبية. لكنها لم تبادلني الحب. كانت تعطف علي، وقلت ان هذا يكفيني».

«سيد تريفينون. . .».

قالت موروينا، لكنه قاطعها قائلاً:

«نيكولا . . . سمني نيكولا. الجميع يدعونني بهذا الاسم، ما عدا لاورا بالطبع. كانت دائماً تدعوني دومنيك. كانت تحب هذا الاسم. لكن ما دام ابن اخي يحمل هذا الاسم، فان استعمالي له يسبب الارباك».

«نعم».

قالت موروينا بتوتر.

«لم تحبي ابن اخي بالتأكيد».

قال مبتسماً واضاف:

«واعرف ان استقباله لك كان غير ودي، لكن هذا انتهى الآن يا عزيزتي».

«في الحقيقة، جئت هنا لاسألك ان تحتفظ برسوم والدتي. ثم

علمت بما يفترض ان والدتي قد ارتكبته. وعوملت بتلك المعاملة الوقحة. والآن وقد قابلتك، وعرفت طيبتك وسماحتك، قررت ان اهديك هذه الرسوم».

هز رأسه مبتسماً وقال:

«حسبما سمعت، هذه الرسوم هي كل ما بقي لك من بيتك. الا يكون من الافضل لو انك استمعت الى ما سأقترحه عليك؟».

«ولكن وقتي قصير. علي ان الحق بقطار لندن اليوم. واعود لكي ابدأ البحث عن عمل».

«تستطيعين ان تمنحيني بعض الوقت. يعرف الله اني انتظرت طويلاً. وقد تمنيت دائماً ان تكون لاورا من ستأتي الى هذه الغرفة. لكن ذلك يبدو اكثر مما كنت اطمح اليه».

«اظن انها كانت ستقابل باستنكار في هذا البيت».

«كلا، ليس الأمر كذلك».

«لقد تأخرت، لا بد ان اذهب».

«كلا، انتظري».

اعترضها بيده، فتراجعت موروينا الى مقعدها ثانية. ثم اضاف قائلاً:

«آسف يا صغيرتي. اعرف ان الحيرة قد اصابتك. وانك محقة في ذلك. تستغربين بدون شك لماذا يحقد الجميع في هذا البيت على والدتك. لكني آسف على ذلك حقاً. انني اذكرها دائماً باحترام، علماً ان لخطأ ارتكب بحقي».

«لا اظن ان والدتي ارتكبت خطأ ما في حق احد. لا بد ان هناك التباساً في الأمر».

«ليس هناك اي التباس. سرق شخص ما في هذا البيت،

تصاميم الزورق (لاورا) وباعها الى شركة اخرى. هل والدتك من فعلت ذلك لا اعتقد».

«ما دمت تعرف ان والدتي بريئة، فلماذا لا توضح هذا الأمر للآخرين؟».

هز نيكولا رأسه بيأس وقال بعد صمت طويل:

«حين وقعت هذه الحادثة، كنت متألماً وغاضباً. لقد احببت والدتك وعرضت عليها الزواج، لكنها ماطلت في جوابها، فأقنعت نفسي انني سأفوز بها في النهاية، وتركت الآخرين يعتقدون بأنها ستكون زوجتي. ثم التقت بوالدك، وحين اخبرتني بانهما يحبان بعضهما، اصابني غضب جنوني. وانذرتها بأنه لا يمكن لحبيبها الجديد ان يدخل تريفينون ثانية. وفرا معاً في الليلة التالية. ولم ارها ثانية بعد ذلك».

«ولكن ما الذي حدث بتصاميم الزورق؟».

«لقد اختفت فجأة من المصنع. وظننت في بادىء الأمر ان لاورا اخذتها خطأ لكن حين شاهدت النسخة المزورة من الزورق في المعرض، ايقنت ان احداً ما قد سرق التصاميم وباعها. وكان شقيقي، والد دومنيك ما يزال حياً انذاك، فوجه اتهامه اليها».

«ولكن لماذا لا توقفهم عند حدهم، ما دمت واثقاً من براءة والدتي؟».

«في البداية وافقتهم على اتهام والدتك. لقد حقدت عليها لعلاقتها بوالدك، ورغبت في الانتقام منها. وحين كتبت الي رسالتها، لم اخبر احداً بذلك. انيز وحدها عرفت بالأمر لأنها هي التي جلبت الرسالة».

«هل كتبت اليك؟».

«نعم. كتبت تسألني العفو، وتخبرني بسعادتها مع والدك. وانذاك ادركت انها بريئة. لأنها لو كانت مذنبة لما جرؤت وكتبت الي، خاصة وقد عرفت ان اصابع الاتهام موجهة اليها».

«ولكن لماذا لا تحاول كشف هذا الأمر للآخرين؟».

قال بعد صمت قصير:

«لو كشفت عن براءة لاورا، لكان ذلك يعني ان شخصاً اخر في هذا البيت قد سرق التصاميم وباعها. خاصة ان الذين كانوا يعرفون بأمر المشروع هم قلة هنا. لذا آثرت الصمت، وترك اللوم يقع على عاتق لاورا بدلاً من فتح جبهة اخرى من الشكوك والتحقيقات، مع ما يقود اليه هذا الأمر من كوارث. ايقنت ان من كان يحقد على لاورا له يد في هذه الجريمة. وتركت الموضوع ليخمد مع الزمن. لكن اخي ظل يثيره باستمرار بتحريض من زوجته. وعرفت ان هناك اخرين متورطين في هذا الموضوع. فسكت عن الأمر. وبحثنا عن كبش فداء لكي نحمله جريمة غيره. فكان ذلك الكبش والدتك. غير اني بعد ان هدأ غضبي اسفت على ذلك جداً. وخففت الأمر على نفسي بانها لن تعرف بالأمر. وحين لم اجبها على رسالتها، ايقنت بأنها لن تجازف بالكتابة الي مرة اخرى».

ثم تطلع الى وجه موروينا بحب واستمر في حديثه:

«اذا كنت ترغبين في الانتقام مني نيابة عن والدتك، فانك تستطيعين ذلك ببساطة يا عزيزتي. ان تأخذي رسومك وتتركي هذا البيت. وبذا تخرجين من حياتي الى الابد. ولكنني آمل ألا تفعلي ذلك».

ظلت موروينا جامدة في مكانها، وقد خيم صمت عميق لفترة. ثم اطلقت تنهيدة قصيرة وقالت:

موروينا عن الآخرين.

سمعت موروينا صوت مارك في الممر وهو يسأل:

«هل شاهدت موروينا يا دوم؟ اخبرتني السكرتيرة انها هنا، لكنها اختفت.

«انها هنا في الغرفة».

دخل مارك الى الغرفة، وهتف حالما شاهدها:

«مرحباً موروينا، هل تأخرت عليك».

«ابداً. هل نغادر؟ لا استطيع ان اتأخر كثيراً».

«بالتأكيد، هيا».

قال مارك، وهو يمد يده اليها. ثم سألها:

«كيف وجدت بورت فينور؟ انها شبه مهجورة في هذا الوقت من السنة».

قبل ان تجيبه موروينا، دخلت الى المكتب امرأة اخرى. كانت قصيرة ونحيفة، ترتدي ثوباً ورداً من الصوف، وقد سرحت شعرها الى الخلف بعناية. لم تشاهدها موروينا من قبل، لكنها حدست انها باربارة انجلس، وهي الأخرى عرفتها. اذ انها حالما وقع نظرها عليها، ضيقت ما بين عينيها الزرقاوين، وتأملتها طويلاً وقد احمرت وجنتيها. ثم قالت:

«صديقة جديدة لمارك؟».

وقبل ان يتكلم مارك اجابها دومنيك:

«كلا، يا باربارة. دعيني اعرفكما ببعضكما. هذه موروينا كيرسلاك، صديقة نيكولا الشابة، والتي ستقضي معنا بعض الوقت. موروينا، هذه باربارة انجلس، سكرتيرة الشركة، وصديقة مقربة جداً».

كانت يد باربارة باردة وهي تصافح موروينا قائلة:

«اوه يا عزيزتي، يا للسعادة! ادخل هذه الغرفة فاجد لاورا كيرسلاك واقفة فيها بعد كل هذه السنين. انها مفاجأة بصراحة. الشعر... والبنية».

ثم استدارت الى الرجلين وقالت وهي تبتسم:

«بالله عليكما لا تقفا هكذا مرتبكين. لقد حدث ما حدث قبل سنين. والتفتت الى موروينا قائلة بحماس:

«اعرف والدتك جيداً، لكننا انقطعنا عن بعضنا طوال هذه الأعوام. كيف هي الآن؟».

«ماتت وانا في الثامنة من عمري. اما والدي وشقيقي فقد قتلا في حادث سيارة في بداية هذا العام».

«وطبيعي جداً، انك جئت الى تريفينون باحثة عن ملجأ».

قالت ذلك وكان صوتها دافئاً وشفوقاً. ثم ضحكت ضحكة خفيفة وهي تقول:

«يا للسماء، كيف يعيد التاريخ نفسه!».

احست موروينا بحرارة شديدة في الغرفة، وان ياقة قميصها الضيقة تكاد تخنقها. التفتت الى مارك وقالت بنبرة متوسلة:

«مارك، لا بد ان اعود الى البيت».

قالت باربارة بلطف:

«حسناً، سنتحدث طويلاً هذا المساء. هل اخبرك نيكولا بأننا سنجري مباراتنا الاسبوعية في الشطرنج؟ لم يخبرك؟ يبدو انه يريد ان يفاجئك بذلك. وسنرتب قريباً ايضاً حفلة صغيرة للترحيب بعودة ابنة لاورا الى البيت».

ردت موروينا:

«سيكون ذلك جميلاً، وسأكون شاكرة».

استعادت موروينا هدوء اعصابها حين اضحت خارج المكتب. وشعرت بحيويتها وهي تسير الى جانب مارك الذي تأبط ذراعها. وخلفها كانت باربارة انجلس تتحدث مع دومنيك وتضحك. خمنت موروينا انها موضوع حديثهما بدون شك. قالت لمارك:

«قابلت اليوم صديقة لك، تدعى بيدي، تملك مخزناً للفخاريات في سانت ايناء».

«اوه، حقاً؟ كيف هي الآن؟».

«كانت تبدو سعيدة».

اجابته موروينا، ثم سكتت للحظات، وقالت ثانية:

«هل سببت لك ارباكاً في عملك؟ اخبروني في الاستعلامات انك كنت في اجتماع».

«ابداً، كان مجرد اجتماع روتيني».

فتح لها باب السيارة فصعدت، ثم صعد هو الآخر. التفتت موروينا الى الوراء، فلمحت دومنيك واقفاً امام المكتب والى جانبه باربارة، لوح لها بيده مودعاً، فردت عليه باشارة مماثلة. ثم استوت في جلستها.

«اهدأي، يكفي انفعالاً».

قال لها نيكولا في البيت. لكن موروينا انفجرت فيه صائحة:

«اهدأ... كيف؟ لم ار في حياتي اذلالا مثل هذا. لقد ضبطني في مكتبه وانا ابحث في الملفات. ولم يعطني اية فرصة حتى اوضح له الأمر».

قال نيكولا وهو يحاول تهدئتها:

«صدقيني ان الأمر ليس بهذه الأهمية. سأشرحه له بنفسي، لا تهتمي».

«كيف لا اهتم؟ اما كان من الأفضل لو طلبت من غيري القيام بهذا العمل، ام انك اردت ان تحشرني في هذا الموقف المحرج فقط؟».

«كلا يا صغيرتي، ليس الأمر كذلك، انا احتاج الى هذا الملف. ولم اسأل دومنيك لأنني كنت اشك انه سينفذ طلبي».

«كان بامكانك تكليف شخص آخر...».

«اعذريني يا صغيرتي. دعيني اوضح لك الأمر. لقد كلفتك لانك ستكونين الحجر الذي سألقيه في بركة ماء راكدة، حتى احركها».

حدقت موروينا في وجهه طويلاً، بدون ان تفهم ما الذي يعنيه:

«ماذا تعني بكلامك هذا؟».

«دومنيك سيخبر باربارة انجلس بالأمر. وباربارة ستثير هذا الموضوع علناً بدون شك. وانذاك نستطيع كشف الحقائق».

اتسعت عينا موروينا من الدهشة، وهي تحدق في وجهه باستغراب. وقالت:

«اتعني ان باربارة هي التي سرقت التصاميم وباعتها؟».

اسند نيكولا ظهره الى الكرسي، والقى برأسه الى الوراء واغمض عينيه، وقد بدا متعباً. ثم قال بصوت اشبه بالهمس:

«هذا ما اعتقده».

«ولماذا لم تكاشفها بالأمر طيلة هذه السنين؟».

«لا برهان لدي لكي اثبت ذلك».

«ولكن لماذا اقدمت باربارة على تلك الفعلة؟ ثم لماذا اتهمت امي

بذلك؟».

«لأنها كانت تغار منها. كانت لاورا محبوبة اكثر منها. بالاضافة الى ذلك كانت باربارة تحب والدك، وتأمل الزواج منه».

اخفت موروينا وجهها بين راحتيها، وهتفت:

«اوه يا الهي. هكذا اذن...».

«نعم، هكذا...».

«وكيف عرفت ان باربارة هي التي فعلت ذلك؟».

«من اشياء كثيرة. منها انها كانت متلهفة بشكل غير طبيعي على التقرب منا ومساعدتنا. وقد مولتنا بالمال لادامة المشروع حين ساءت امورنا. بالاضافة الى ما قاله الرجل لي في معرض الزوارق، ان اكون اكثر حذراً في اختيار صديقاتي».

«ولماذا تركت امي المسكينة تتحمل تبعات جريمة، هي بريئة منها؟».

«لم يكن الأمر بالسهولة التي تتصورينها. تعرفين انني عطفت حتى على باربارة وفهمت جيداً وضعها النفسي آنذاك والذي دفعها الى فعل ما فعلت. هناك نقطة اخرى اريد توضيحها لك، بعد تلك الحادثة اصبحنا انا وباربارة قريبين جداً من بعضنا، وكنت آمل انه مع تزايد اقترابنا، ستعترف بما فعلت بفعل عاطفتها نحوي. لكن مع الأسف طال انتظاري حتى الآن».

«وهل تبادلها العاطفة يا نيكولا؟».

«كيف تنمو العاطفة في جو تنعدم فيه الثقة؟».

تجمعت الدموع في مآقي موروينا، وقالت بحسرة:

«يا لها من خسارة حياة، بل حياتين!».

ابتسم نيكولا وهو يتأمل وجه موروينا الحزين:

«لكني لم امت بعد، ولا باربارة ايضاً. ما زلنا مستمرين في لعبتنا. والحقيقة انها تلعب بذكاء، لكني واثق انها ستخسر هذه المرة».

ثم رفع الملف من فوق المكتب وفتحه قائلاً وهو يقربه من وجه موروينا:

«اما في الوقت الحاضر، فسأجلد علاقتي بحبي الآخر».

تأملت موروينا الرسوم والارقام على صفحة الملف. ثم سألت:

«زورق آخر؟».

اومأ نيكولا بالايجاب قائلاً:

«نعم، زورق آخر. لكن هذا سيعبر المحيطات، وسيتحدث الناس عنه كما يتحدثون عن البواخر العظيمة. وسأسميه (ليدي موروينا)».

«اوه!».

هتفت موروينا وهي تضغط براحتيها على خديها الملتهبتين. ثم قالت:

«ولكن هكذا دعاني دومنيك حين وجدني في مكتبه. ليدي موروينا!».

اطلق نيكولا ضحكة قصيرة وقال:

«هل دعاك هكذا؟ ان ابن اخي ليس غبياً. اذن لقد عرف انني سأسترد هذا الملف».

«ولماذا سميته موروينا؟ اعرف ان هذا اسم شائع هنا، ولكن...».

«هكذا اخترت هذا الأسم. ربما لاشجع نفسي على العمل».

«لا غرابة في ذلك اطلاقاً».

قال دومنيك وهو واقف في باب الغرفة. تراجعت مورورينا فجأة واسندت ظهرها الى الكرسي، كرد فعل على ظهوره المفاجىء. تقدم دومنيك منها ورفع حاجبيه مندهشاً وهو ينظر الى عمه وقال:

«ما هذا يا نيكولا؟ قصة اخرى من قصص العائلة؟».

«بل انها قصة الماضي والحاضر والمستقبل كما آمل».

نظر دومنيك الى الملف وقال ساخراً:

«تكلف اناساً غرباء لانجاز مهماتك. لماذا كل هذا الحذر؟».

اجابه نيكولا وهو يهز كتفيه:

«لدي اسبابي بدون شك».

«حسناً، لا اريد ان اسألك عن هذه الاسباب، ولكنك حشرت الآنسة كيرسلاك في موقف محرج ظهر هذا اليوم».

«انها سامحتني، وأظن انها ستسامحك ايضا مع الأيام. ولكن لماذا هذه الشكليات؟ ان اسمها هو مورورينا، الا تتذكر ذلك؟».

«من حسن الحظ انني لا انسى الاشياء بسهولة».

قال دومنيك بشيء من السخرية. رفعت مورورينا وجهها اليه. وقالت بثقة:

«يبدو ان اسمي ينكأ جرحاً قديماً لديك يا سيد دومنيك».

«كلا يا آنسة كيرسلاك. لا تحاولي تفسير الأمور بهذا الشكل».

استمرا في عملهما بصمت في ما تبقى من عصر ذلك اليوم. لم تستطع مورورينا ان تستشف ما يجول في ذهن نيكولا وهو منكب على رسومه وارقامه. بينما جلست هي الى مكتبها تدون بعض الملاحظات التي طلبها منها نيكولا وذهنها منشغل في امور اخرى. تفكر فيما اذا كان دومنيك يحاول استغلال وضعها في تريفينون للحصول على متعة

عابرة منها. واحست بالألم يعتصر قلبها حين تذكرت غاي ومعاملته لها. تعرف انها جميلة وذات جاذبية، لذا ليس من المستبعد ان ما يطمح اليه دومنيك هو علاقة عابرة سرعان ما تنتهي حين ينتهي هو من نيل ما يريده. واعترفت بألم لنفسها بأنها تحبه، غير ان هذا يجب ان يبقى سراً في هذا البيت المليء بالاسرار. ثم قالت لنفسها بحسرة: اهذا ما كان ينقصني؟ ان اقع في حب من يعاملني بكل هذه القسوة والاذلال؟

انتهت من افكارها على صوت نيكولا، يقول بصوت مفاجىء:

«سأتناول العشاء هذا اليوم في الطابق الأسفل».

ابتسمت وقالت:

«يبدو انك قررت العودة ا الى الحياة الطبيعية».

«نعم، يكفي جموداً. علي الآن ان اهتم بتدبير اموري».

«ولكنك بدأت بذلك فعلاً حين ارسلتني الى حوض الزوارق».

«اجل كانت تلك البداية، والآن اذهبي الى انيز، وبشريها بالأمر. اظن انها ذكرت شيئاً عن بط مشوي. فلنحتفل اليوم بمناسبة عودتي الى الحياة الطبيعية».

كان صوته طبيعياً وهادئاً، غير انها لم تنخدع به. فسألته:

«ما الذي تخطط له يا نيكولا؟».

«ستعرفين ذلك قريباً».

اجابها ثم انكب على اوراقه ثانية. غير انه بعد لحظات من الصمت عاد وقال لها:

«والآن، يا عزيزتي، اذهبي وهيئي نفسك للمساء».

استقبلت انيز النبأ وفسرته بأن هناك حفلة ستقام في المساء.

كانت جالسة في المطبخ تقشر التفاح. وقالت:
«سأطلب من زالك، ان ينظف الأواني الفضية».
«لا حاجة لزالك، انا سأساعدك في ذلك».
«كلا، اكون شاكرة لو نظفت لي التفاح فقط».
دفعت انيز بسلة التفاح والسكين اليها. ثم قالت لها:
«لا تنسي ان تغيري هذا البنطال القديم. البسي شيئاً اخر. ستحضر كارين الى الحفلة حتماً. وهي عادة تلبس ثياباً انيقة».
«عندي فستان طويل سألبسه».
«لماذا تدعين ضيفتنا تتعب نفسها بالعمل يا انيز؟».
كان ذلك دومنيك واقفاً في باب المطبخ. ثم تقدم ووقف امامهما، وقال لموروينا:
«اريد التحدث معك على انفراد يا آنسة كيرسلاك».
نهضت موروينا وتبعته الى مكتبه. وهناك سألته:
«تفضل، ماذا تريد؟».
«هل تعرفين لماذا يريد عمي ان يتناول عشاءه الليلة في الطابق الأرضي؟».
هزت موروينا رأسها وقالت:
«هل هناك سبب معين لذلك؟».
حدق في وجهها مقطباً جبينه ومضيقاً ما بين عينيه:
«كل ما يتفوه به نيكولا، او يفعله هذه الأيام، انما لغاية معينة».
«ماذا تقصد؟».
«انه يهيىء نفسه لفتح الجروح القديمة، وانت السبب في ذلك».
«اظن انك تغالي في تقدير دوري في الأمور، يا سيد دومنيك».
«كلا، انك بريئة من كونك عشيقة لرجل عجوز، ولكنك ما زلت

تعملين لتحقيق الهدف الذي خططت له».
ارادت ان تقول له، بانه مخطىء في ظنونه. وانها لم تعد تهتم من ناحيتها بأي غاية او هدف. ولم تعد تهمها سمعة امها. ان لاورا نفسها لم تعط لهذا الأمر اهمية كبيرة. كانت غايتها سعادة نيكولا وراحته. وربما قدرت انها اذا ما ابتعدت عن طريقه، فانه وباربارة سيصلان الى نقطة التقاء.
«لا اعتقد انك فهمت الأمر على وجهه الصحيح».
قالت موروينا، لكنه قاطعها قبل ان تكمل حديثها:
«فهمت جيداً. تريدين اثارة موضوع قديم وطرحه على بساط البحث بشكل علني، بدون ان تهتمي بالذي سيتضرر من عملك هذا».
كارين انجلس؟ سألت نفسها. اهي من يقلق بشأنها؟ قالت له:
«لا استطيع فعل شيء».
اجاب بضحكة قصيرة وساخرة:
«تظهرين الوداعة والبراءة، وتخفين قسوة بالغة، يا ليدي موروينا».
«لا تناديني كذلك من فضلك».
«ولم لا، اذا كانت هي الحقيقة؟».
سار ووقف قربها حتى تلامس جسدهما، فشعرت موروينا ان عظامها تلوب وتتحول الى سائل ملتهب. ونظر اليها قائلاً بصوت حنون ملؤه التحذير:
«موروينا، دعي هذا الأمر جانباً الآن».
«انني آسفة».
«ستأسفين على ذلك حتماً».

استدارت وهي تعض شفتها حتى احست بطعم الدم على لسانها، سارت بهدوء الى خارج الغرفة واغلقت الباب. ثم صعدت السلالم راكضة الى غرفتها. القت بنفسها على الفراش، وبكت حتى احست ان الدموع قد جفت في عينيها.

٧- الغضب البارد

حين تأملت مورونا نفسها في المرآة، لم يكن هناك أي أثر في وجهها بسبب عاصفة البكاء القوية. صحيح، انها كانت شاحبة بعض الشيء، وأن عينيها بدتا اكثر اتساعاً عن المألوف، غير ان ذلك ربما كان بسبب الماكياج الذي استعملته. جمعت شعرها في عقدة كبيرة فوق رأسها، تاركة بعض الخصلات الناعمة تتدلى فوق أذنيها وعلى مؤخرة رقبتها. وارتدت ثوباً اسود اللون مطرزاً بخطوط ذهبية، ولبست حول رقبتها الناعمة قلادة ذهبية رقيقة. كانت انيقة وجميلة حقاً.

أطلّت من فوق السلالم على الصالة، فرأت ان قاعة الجلوس كانت مفتوحة الباب، وسمعت اصوات الضيوف وضحكاتهم. اذن

فقد وصل ضيوف المساء. نزلت السلالم ببطء وهي تفكر بأنها لا تدري أي نوع من الحقد ستواجه به.

كانوا جميعا مجتمعين هناك، واذ وقفت في الباب ادركت انها آخر من وصل. دخلت الى القاعة بهدوء وقالت بصوت ناعم وجذاب:

«مساء الخير».

خيّم الصمت على القاعة التي كانت تضج بالحديث والضحكات. لكن سرعان ما هتف نيكولا سعيداً وهو يبتسم:

«يا صغيرتي العزيزة، تفضلي. كم تبدين فاتنة! هيا، ليقدم لها أحد كأساً من العصير».

كان مارك من جلب العصير لها، وهمس وهو يقدم لها الكأس:

«يا الهي كم أنت جميلة!».

ضحكت بنعومة وهي تخفي نظراتها عنه. ثم قادها الى المقعد حيث كانت تجلس باربارة انجلس وكارين، وامرأة اخرى قدموها لها وتدعى ليدي فان ود. ثم سرعان ما استؤنف الحديث الذي انقطع بدخولها.

كانوا يتحدثون عن العطلات. وأخذت كارين تتحدث بحماس عن شواطىء كاليفورنيا حيث مكثت هناك عاماً، وتقارنها بالشواطىء الانكليزية. احست موروينا بالملل من الحديث، فنظرت الى نيكولا الذي كان جالساً قرب النار، وهو يتأمل الحاضرين بنظرات مبهمة.

لم تكن موروينا وحدها صامتة، كانت باربارة ايضا قد توقفت عن الكلام وبدت ساهمة بعض الشيء. تأملتها موروينا وأحست بنوع

من الشفقة نحوها. كانت أمها لاورا كير سلاك محبوبة ومدللة من الجميع، وكان هذا يعوضها عما خسرت وعما لاقت من أهل تويفيتون. اما هذه المرأة المتوترة الجالسة الى جانبها، فهي لم تكسب اي شيء من فعلتها الحقودة تلك. والسعادة التي كانت تتوقعها نتيجة تلك النكاية بلاورا كيرسلاك، تلاشت قبل ان تلمحها.

أرادت ان تقبض على ذراعها فجأة، وان تهتف بها، انهم جميعاً يعرفون ما فعلت، ويسكتون عنك لمجرد النفاق. وارادت ان تضع حداً لهذا الموضوع والى الأبد. ولكن ليس لها هذا الحق، فهي طارئة على هذه الأجواء. ونيكولا وحده له الحق في اثارة الموضوع.

ارتشفت شيئاً من عصيرها، وأحست بألم خفيف بدأ ينبض في صدغها. ارادت ان تضغط باصبعها على موضع الألم، لكنها توقفت عن فعل ذلك حين لمحت دومنيك يحدق فيها.

كان العشاء لذيذاً. وقد اضيئت قاعة الطعام بالشموع، مما زاد من لمعان مائدة الطعام، والأواني الفضية ذات الطراز القديم.

تظاهرت موروينا بالأكل، بينما الحقيقة انها لم تستطع ان تأكل شيئاً، فقد احست بأن بلعومها قد ضاق فجأة بدون ان تجد تفسيراً لذلك.

اما نيكولا فقد كان يحاول دائماً جرّ باربارة الى الحديث، وكسر حاجز الصمت الذي اقامته حول نفسها. كان يحدثها عن الذكريات، ويسألها عن احداث مضت، وبدت هي شيئاً فشيئاً تتخلى عن صمتها وجمودها. وتعود اليها ابتسامتها وحيويتها.

عادوا الى قاعة الجلوس بعد ان انتهوا من العشاء. وجلبت انيز القهوة، فنهضت كارين وتناولت الصينية منها، وبدأت هي تديرها في الأكواب وتوزعها، وكأنها هي المضيفة. ثم اخذت كوب دومنيك

اليه، وهمست له شيئا وهي تناوله الكوب، فضحكا معاً. وعادت اخيرا وأخذت كوبها وجلست. بينما ظل كوب موروينا فارغاً في الصينية. فأدركت موروينا ان ذلك كان تعمداً منها. غير انها سكتت، والحقيقة انها كانت غير راغبة في شرب القهوة في أية حال بسبب صداعها، لكنها بذلت جهدها للسيطرة على نفسها من ترك القاعة فوراً، اذ كانت واثقة من أن كارين تريد ذلك، وانها تحاول اشعار موروينا بأنها غريبة وسط افراد ينتمون لعائلة واحدة.

«كارين، أظن أنك نسيت واحداً. لم تقدمي قهوة لموروينا».

قال نيكولا بصوت خشن.

التفت الجميع اليها، فأحست موروينا بالدم يتصاعد الى وجهها وبالخجل يغمرها. وقالت بصوت مرتعش:

«لا بأس. حقاً انني لا أرغب فيها».

«أوه، اني آسفة».

هتفت كارين بصوت مسرف في العاطفة، ثم اردفت:

«يا لها من غلطة فظيعة! شاهدت كوباً زائداً وظننت ان انيز قد اخطأت في العدد».

ثم اطلقت ضحكة خفيفة وأضافت:

«لقد حسبت ان المجتمعين هنا هم افراد العائلة فقط».

تكهرب الجو فجأة بعد كلماتها. ولم يبق هنالك شك بأنها قصدت اهانة موروينا. اما موروينا فشعرت بأنها صفعت على وجهها علانية.

سبق دومنيك الآخرين في النهوض. اتجه نحو الصينية وملأ الكوب بالقهوة وقدمه الى موروينا. شكرته بكلمات غير واضحة،

واختطفت نظرة الى وجهه. كان هادئاً لا أثر للغضب فيه. لم يكن راضياً عن سلوك كارين بدون شك، غير انه لم يبد أي احتجاج على كلماتها الجارحة. ربما كانت تلك الكلمات تعبّر عن احساسه هو تجاهها. اما كلمات نيكولا فقد كانت غاضبة بحيث اربكت موروينا في مكانها، حين قال:

«ما هذا الكلام يا عزيزتي كارين. يجب ان تعلمي ان موروينا واحدة من هذه العائلة مثل أي واحد في هذه الغرفة».

ادركت كارين بأنها ارتكبت خطأ شنيعاً، غير انها لم تعرف كيف تتجاوزه. قالت وهي تبسط يدها امامها:

«بالطبع. لقد اسأت التعبير. فهمت ان الآنسة كيرسلاك تعمل هنا كسكرتيرة، ولم يخطر ببالي ابداً...».

«اذن افهمي جيداً الآن...».

قال نيكولا وقد غطت وجهه مسحة غضب، ولم يكن ابداً فظاً كالآن. ثم أضاف قائلا بالانفعال نفسه:

«لم اعتبرها في يوم من الأيام سكرتيرة لي. انها أعز من ابنتي. انها عزيزة مثلما كانت امها هنا من قبل».

«نيكولا!».

هتفت موروينا به، وهي تعصر وجهها الملتهب براحتيها. لكنه استمر قائلا بلهجته القاسية:

«لا أريد ان يبقى احد في شك، حول مدى تقديري وحبي لهذه الصغيرة».

ثم نهض فجأة مستنداً الى عصاه. هرع دومنيك اليه ومسكه من ذراعه قائلا له بلهجة محذرة:

«اهدأ».

لكن نيكولا حرر ذراعه منه بعنف وهو يصيح:

«دعني، انني بخير. تعالي هنا يا مورورينا، اعطني ذراعك. عندي مفاجأة لك. لم اهيئها لهذه اللحظة، لكن الأحداث تباغتني».

وبينما هما يتجهان الى الباب. قالت له بصوت هامس:

«نيكولا، ما هذا الذي تفعله؟».

«لا تقلقي، انا بخير. سيكون الأمر حسناً، صدقيني».

كان يرتعش من الغضب، اما هي فكانت مرتعبة من أن تصيبه نوبة قلبية ثانية نتيجة انفعاله. وتبعها الآخرون بذهول، وكان وجه باربارة شاحباً مثل وجوه الموتى.

في نهاية السلم اتجها الى اليمين. وكان نيكولا يلهث من التعب، لكنه واصل سيره بحزم حتى وصلا الى باب في نهاية الممر. وتركها، وأخذ يبحث في جيبه. قال دومنيك بصوت بارد:

«نيكولا، لا داعي لكل هذه المأساة اكراماً لي».

لكن عمه لم يجبه. اخرج من جيبه حزمة مفاتيح، وأدخل واحداً منها في قفل الباب وفتحه. لم ترد هي ان تدخل الغرفة، لكنه سحبها معه. كانت غرفة والدتها، التي ظلت مغلقة منذ ان رحلت هي من هنا. لم تعرف ماذا خبأ نيكولا لها من مفاجأة، لكنه ظل ممسكاً بذراعها، وهي تحدّق فيها حولها.

كانت غرفة نوم جميلة ونظيفة، ذات ستائر طويلة خضراء على النوافذ، وفراش أنيق، اما الأثاث فكان من الخشب الثمين ومن الطراز القديم. وكان هنالك حطب في المدفأة. ومناشف مرتبة في زاوية. كل شيء ينبيء ان من كان يسكن هذه الغرفة في سفر، وانه يتوقع وصوله في أية لحظة، لأنها ظلت مغلقة اكثر من عشرين عاماً.

«ستكون هذه غرفتك يا صغيرتي».

قال نيكولا بحدّة وكأنه يتحدى أي واحد يعترض. كانت مورورينا ترتعش، وحين التفتت الى دومنيك لمحت على وجهه غضباً بارداً ارتعبت منه. انتابها شعور بأن ترمي نفسها عليه وتقول له: «اني آسفة، آسفة على كل ما حدث». لكنها ضبطت نفسها، وأدركت انه لن يصدقها، فهو يظن ان كل هذا قد تم التخطيط له مسبقاً بينها وبين نيكولا.

كانت تتأمل الفراش الكبير المزدوج، وتفكر ان هذا الفراش المزدوج، التفتت الى نيكولا لتسأله، لكنه ادرك ما يجول في ذهنها، فقال:

«نعم، انا ووالدتك رتبت هذه الغرفة. وكنت آمل ان تكون غرفتنا».

قالت باربارة انجلس، التي كانت تقف جامدة كالصخر، شاحبة الوجه، وقد امتلأت عيناها بالدموع:

«غرفة لاورا. يا الهي، يجب ان تتذكروا الشرف الذي حصلت عليه، بالسماح لكم الدخول اليها بعد كل هذه السنين. ضريح لاورا!».

اطلقت ضحكة ساخرة وتركت الغرفة، وتبعتها كارين. ثم خرج مارك هو الآخر باشارة من دومنيك. بقي ثلاثتهم يواجهون بعضهم. قال دومنيك متوتراً:

«اتمنى ان تكون هذه القسوة التي لا مبرر لها قد اراحتك».

هز نيكولا رأسه بضجر وردّ:

«ما كان قصدي ان يحدث هذا. كانت خططي مختلفة عن هذا تماماً. لقد فقدت اعصابي، هذا كل ما في الأمر. ولكن الأمر سيكون

على ما يرام».

«أأنت من يقول هذا؟ كيف تتحدث عن المستقبل، اذا كنت ما تزال متعلقاً بالماضي بهذا الشكل؟».

قال دومنيك بصوت مزيج من السخرية والغضب:

«كفى بالله عليكما. لنترك هذا الموضوع».

قالت مورورينا وهي على وشك البكاء.

«لماذا؟ أتفكرين في وقت ومكان مناسبين اكثر من هذا؟».

قال دومنيك وعيناه متوهجتان من الغضب. ثم استمر موجهاً كلامه لعمه بنبرة ساخرة:

«يبدو انك كنت حريصاً على الاعتناء بهذه الغرفة طيلة هذه السنين. انها تبدو نظيفة جداً».

«ولماذا لا؟ كانت انيز تنظفها بأمر مني كل هذه السنين».

وقفت مورورينا بينهما، وهي تريد ان تردعهما عن هذا الحديث المحزن. وقالت بتوسل:

«رجاء، يكفي الحديث في هذا الموضوع. انني افضل البقاء في غرفتي. لا أريد هذه الغرفة».

ترك دومنيك الغرفة، بعد ان اغلق الباب وراءه بعنف. وتهالك نيكولا على كرسي صغير بجانبه، وهو منهك تماماً فسألته مورورينا بحزن:

«لماذا فعلت كل هذا؟».

«لقد فقدت اعصابي. كان ذلك خطأ. انني آسف».

وضعت مورورينا يدها على ركبته قائلة وهي تبتسم من خلال دموعها:

«لا تأسف. ستكون الأمور على ما يرام».

ظلا صامتين بعض الوقت. كانت مورورينا خلاله تحدّق فيه بحنان. وقد بدا لها انه كبر عشرات السنين فجأة. ثم نهض من مقعده قائلا:

«من الأفضل ان اعود الى الطابق الاسفل لأرى ما حدث. هل ستأتين معي؟».

«كلا، أظن من الأفضل ان أذهب الى غرفتي».

«هذه هي غرفتك. انني أعني ما اقوله. ستبقين في هذا الغرفة طيلة وجودك في تريفينون».

«لكني لا استطيع النوم هنا هذه الليلة. ان جميع حاجياتي في الغرفة الأخرى».

«لا بأس. سينقل زاك حاجياتك غداً. لن تحتاجي لشيء هذه الليلة. فهناك بعض ملابس والدتك في الأدراج. ثياب النوم. وبعض ادوات الزينة. تستطيعين استعمالها. انها جميعاً لك».

ثم ترك الغرفة. وظلت مورورينا وحدها، وهي تشعر بالبرودة تسري في كيانها. تأملت ما في الغرفة من أشياء وأحست بالدموع تتجمع في عينيها ثانية. وفكرت لماذا لا تهرب من هذا البيت وتنقذ نفسها من كل هذه الآلام والمحن؟ ثم كيف ستواجه كارين بعد اليوم؟ وتمنت ان لا تكون هنا حين يتزوج دومنيك من كارين، فذلك شيء لا يمكن تحمله اطلاقاً.

ثم تركت الغرفة ومشت على رؤوس اصابعها، حتى وقفت في نهاية السلم، وهي تنصت لما يجري من حديث في الطابق الأسفل. كانت الأصوات جميعها رجالية، لذا عرفت ان كارين وعمتها قد غادرتا البيت. وقد دهشت لذلك. ثم سارت الى غرفتها. ورغم ان

بقاءها في هذه الغرفة انما هو وقتي، فقد شعرت انها في بيتها الحقيقي. دخلت في الفراش واحست بالدفء، لكن الأفكار بدأت تتزاحم في رأسها، وجاهدت كي تطردها لكن بدون جدوى.

استيقظت في الصباح متعبة من الأحلام المزعجة التي رأتها في الليلة الماضية. ولمحت من النافذة ان الصباح مشرق والجو صاف، والشمس تغمر المكان. فأحبت ان تستمتع بهذا الصباح الجميل لوحدها، وقبل ان تدب الحركة في البيت وتبدأ المشاكل ثانية. تركت فراشها وأخذت حماماً سريعاً، ثم ارتدت ملابسها، ونزلت الى الطابق الأسفل. اكتشفت ان الباب الرئيسي مفتوح، وهذا يعني انها ليست وحدها المستيقظة باكراً، فهناك من سبقها. غادرت البيت وواصلت سيرها باتجاه البحر. ولم تكن قد ابتعدت طويلا حين سمعت صوت محرك سيارة خلفها، استدارت فشاهدت سيارة دومنيك واقفة امام البيت، ثم نزل هو، قررت موروينا ان تتجاهله، وان لا تتحدث معه، فواصلت سيرها، لكنها سمعته يناديها:

«موروينا. انتظري لحظة».

لم تشأ ان تلتقي به، فاستمرت بدون ان تلتفت اليه، لكنها سمعته قادماً من ورائها، وكانت خطواته سريعة، فانتابها الذعر، فأسرعت في خطواتها، غير انها ادركت انه هو الآخر يسرع في مشيته. واخيراً وجدت نفسها تركض، ولكن الى أين؟ ولماذا تهرب؟ انها ستواجهه حين تعود الى البيت، فلماذا الهرب منه الآن؟

وابطأت في سيرها الى ان حاذاها، وقال بصوت بارد:

«لا تتظاهري بأنك لم تسمعيني وأنا اناديك، ثم لماذا تهربين مني؟».

«لقد سمعتك. اما لماذا اهرب منك، فأظن ان السبب واضح».

«ما اريده هو ان اتحدث اليك».

«لا اظن ان هناك شيئا تقوله لي، أحب سماعه».

اطلق ضحكة قصيرة، ثم قال:

«أوافقك على ذلك، لكن هناك أشياء يجب ان تقال، وفي مقدمتها اني مدين لك بكلمة اعتذار. لقد كنت فظاً في الليلة الماضية. والحقيقة اني فقدت أعصابي».

«في أية حال، ليس للأمر اهمية».

«بل انه مهم بالنسبة الي».

قال هذا ومد يده الى ذقنها محاولا رفع وجهها اليه. لكن موروينا تراجعت خطوة الى الوراء مبتعدة عنه. ثم أضاف قائلا:

«انك غفرت لنيكولا انفعاله. فلماذا يا ترى لا تعامليني مثله؟».

«بالطبع لا اعاملك مثله. فأنا احبه جداً».

«ولا تحبينني، أليس كذلك يا موروينا؟».

«هل حقاً تتوقع مني ذلك، وأنت تعاملني بهذا الأسلوب منذ وصولي في اول يوم؟».

ثم استدارت وواصلت سيرها تجاه البحر. ورفعت رأسها تجاه الريح، فأحست ببرودتها تخفف من حرارة وجهها. وظل السؤال يعاودها باستمرار: «ترى ماذا يريد مني؟ لماذا يلاحقني باستمرار؟ اذا كان يكرهني فلماذا لا يتركني وشأني؟».

تجولت طويلا فوق الصخور العالية، وهي تتأمل البحر وتكسّر الامواج على صخور الساحل، والزبد الابيض المتطاير منها. والطيور التي تحوم على الشاطىء، والاشجار وأكواخ عمال المناجم المهجورة، وتمنت لو انها جلبت معها عدة الرسم، اذن لكانت رسمت هذه

المناظر البديعة، ولاحتفظت بها كذكريات لهذه الأيام المليئة بالأحزان. ثم عادت ادراجها الى البيت.

«ها انت اخيراً!».

قالت انيز حين رأتها، وكانت قلقة بسبب تأخرها، ثم اضافت:

«لقد قلق السيد نيكولا عليك. أين كنت كل هذا الوقت؟».

«ذهبت في نزهة، ويبدو انني تأخرت».

«هيا الآن، الفطور جاهز. وسيصعد زاك الى غرفتك لنقل حاجياتك الى الغرفة الجديدة. انني سعيدة لأن السيد نيكولا قد فتحها بعد كل هذه السنين».

«انها غرفة جميلة، لكنها كبيرة عليّ، افضل البقاء في غرفتي».

«كلا، انها افضل من الغرفة السابقة، ثم ربما لن تبقي وحدك فيها. ربما ستجدين من يشاركك فيها».

قالت انيز وذهبت الى المطبخ. تاركة مورورينا في حيرة. وفكرت ما الذي تقصده من كلامها هذا. هل رأتها حين كانت واقفة مع دومنيك هذا الصباح. وهل تظن انها على علاقة؟

دفعت مورورينا باب قاعة الطعام بعد تردد، ودخلت. كان مارك وحده جالساً هناك.

«مرحباً مورورينا. كيف أنت هذا الصباح؟».

«كالعادة، وأنت؟».

«أظن أن ما حدث الليلة الماضية، لم يكن له أي مبرر».

«من الأفضل ان تسأل نيكولا. هو الذي أثار كل تلك الضجة».

«صحيح. رأيتك متأثرة اكثر من الآخرين. لقد أسفت على

باربارة. كانت صدمة كبيرة لها، واهانة شديدة. كارين أخذتها بالسيارة، لم تكن قادرة على القيادة. ثم انني لم اشاهدها وهي تبكي مثل البارحة».

«انني آسفة».

«لا احد يلومك، ما ذنبك أنت؟».

قال مارك، ثم اضاف وهو يبتسم.

«ما رأيك ان نتعشى معاً في الخارج؟».

«معك؟».

«أهو أمر غريب يستوجب كل هذه الدهشة؟ لقد خابرت بيدي مساء امس ودعتك للعشاء، ولم اشأ ان أناديك على الهاتف لأنك كنت في غرفتك بعد الذي حدث، فطلبت مني ان ابلغك، ثم دعتني ايضاً».

«اعتقد ان هذا ليس السبب الوحيد».

«ربما. اذا وافقت على المجيء، من الأفضل ان لا تذكري ذلك لأحد».

«وماذا نفعل؟ هل نسرق انفسنا من الآخرين، ونتسلل من البيت تحت جنح الظلام؟».

«كلا، سأقول لهم اني آخذك الى بورت فينور».

«تقصد بالآخرين اخاك. أليس كذلك؟ حسناً هذا لا يهمني. اذا كنت مهتماً بأن لا تجرح مشاعره، فدعني وشأني لأذهب وحدي الى سانت اينا هذا المساء».

صب مارك المزيد من القهوة لنفسه، وهو لا يرفع عينيه اليها، ثم قال:

«الأمر ليس بهذه البساطة. أنت تعرفين انني وبيدي كنا على

علاقة، سابقاً».

«نعم، اعرف ذلك هي التي اخبرتني».

ولا ادري ماذا قالت لك بعد. لا اريد ان اعرف الحقيقة».

«لم يرض اخوك عن تلك العلاقة، وطلب انهاءها».

«نعم. ربما تستغربين ضعفي، وكيف رضخت لطلبه. الحقيقة اني فعلت ذلك ظاهرياً، وحاولت ان اقنع دومنيك مع الأيام، لكنني حين ذهبت لرؤية بيدي بعد انقطاع، رفضت الاصغاء وطردتني».

«ولماذا لم تشرح الأمر لها منذ البداية؟».

«حدث كل شيء بشكل مفاجىء. والواقع ان شخصاً ما أثار دومنيك ضدنا».

«كارين انجلس ربما».

«نعم. لا أدري ماذا قالت له، لكنها نجحت في تسميم مشاعره تجاه بيدي».

حين انتهت موروينا من فطورها، صعدت لكي تجمع حاجياتها حتى ينقلها زاك الى غرفتها الجديدة. جمعت كل حاجياتها في حقيبتها، وذهبت الى الغرفة الأخرى، ومكثت هناك تنتظر، حتى جلب زاك الحقيبتين، مع رزمة كبيرة.

«آسفة لازعاجك يا سيد زاك. ولكن ما هذه الرزمة؟».

«انها رسومك التي جلبتها معك. لقد تم وضع اطارات لها في بتراس. سأثبتها على الجدران هنا».

فكت مورووينا خيوط الرزمة بأصابع مرتعشة، ثم فتحتها. كانت رسوم والدتها وقد احيط كل منها باطار ثمين من الطراز القديم. لقد كانت تتساءل دائماً: ترى ماذا فعل نيكولا بالرسوم؟ ربما تركها جانباً ولا يود رؤيتها لأنها تسبب بعض الشجن له. لكن ها هو اذن قد

بعثها الى بتراس لتاطيرها. احست بالدموع تتجمع في مآقيها. وكانت راغبة في البكاء بشدة. علق زاك الرسوم على جدار مواجه للنوافذ، بارشاد منها، حتى يقع الضوء عليها وتراها واضحة اول ما تفتح عينيها في الصباح. حدّقت فيها طويلا حين ظلت وحدها في الغرفة، وفكرت، ترى ماذا كانت ستقول والدتها لو عرفت ان رسومها قد انتهت الى غرفتها في تريفينون؟ ثم ماذا تريد هي اكثر من هذا؟ اما كان قصدها من المجيء الى هنا هو هذا؟ ان يحافظ اهل تريفينون على الشيء الوحيد الذي تملكه؟ ها هي امنيتها قد تحققت.

احست بالباب وقد انفتح بهدوء، بينما ما تزال هي تتأمل الرسوم، وان شخصاً ما دخل الى الغرفة. ظنت انه نيكولا، جاء ليرى مدى تأثير هديته عليها. فقالت بدون ان تلتفت اليه:

«نيكولا انك عطوف عليّ جداً. لا ادري كيف اجازيك».

لكن حين التفتت اليه، ماتت الكلمات بين شفتيها وشحب لونها. كان الواقف هو دومنيك. تقدم خطوة اخرى منها، وقال بانزعاج:

«ما هذا، لماذا تغير لونك هكذا، هل ازعجتك بدخولي؟».

«كلا، بالعكس. انني حزينة لأنني رأيت ثياب امي وخواتمها. والآن هذه الرسوم وقد علقت في غرفتها. احس وكأنها معي الآن. بالطبع لا اتوقع منك ان تفهم مشاعري».

«كلا، لا يهمني ذلك. جئت لأتحدث معك في موضوع ما، لكن يبدو ان الوقت غير مناسب الآن».

«ليس هناك ما نتحدث به. دعني لوحدي بسلام أرجوك».

قالت مورووينا متوسلة وقد اغمضت عينيها، ووضعت وجهها بين راحتيها. لم يقل دومنيك اي شيء، بينما ظلت هي في وضعها

للحظات. وحين فتحت عينيها وجدت نفسها وحيدة في الغرفة، فهتفت بصوت مختنق:

«اوه دومنيك، يا حبيبي».

لكن لم يكن هناك احد ليسمعها.

عليها. وفي مناسبة اخرى قال لها ايضاً:

«يبدو ان مارك مصمم على ان يجرب حظه معك».

فضحكت، وطمأنته بأن لا احد يقدر ان يفوز بقلبها غيره.

ولم ترغب ان تخبره بان العلاقة بين مارك وبيدي قد عادت الى مجراها الطبيعي. منذ تلك الأمسية التي ذهبت معه الى سانت ايتا لتناول العشاء في بيتها.

القت نظرة أخيرة على شجرتها، وتهيأت لترك قاعة الجلوس، بعد ان تطفىء اضواء القاعة كلها. ربما ستجلب نجمة الأمل التي علقتها على الشجرة، الـ لمارك وبيدي على الأقل. اما نيكولا وباربارة فيبدو انه ليس هناك من امل كبير في تحقق سعادتهما معاً. اذ لم تقترب باربارة من تريفينون منذ تلك الليلة التي اقيمت فيها حفلة العشاء. واستنتجت موروينا من ملاحظات ابداها نيكولا ان باربارة لم تعد تعمل في حوض الزوارق، متعللة بالمرض.

اما كارين فلم تنقطع عن الظهور، بالرغم مما حدث. وبدا واضحاً، انها قررت التغاضي عن حقيقة انها هي التي كانت السبب في كل ما حدث. وتصرفت بروحية توحي بأنها قد سامحت الجميع على سلوكهم في تلك الليلة، وكأن ما حدث كان بسبب الآخرين لا بسببها، وهذا ما جعل نيكولا ينسحب الى غرفته ويغلق الباب عليه كلّما ظهرت كارين في تريفينون.

حين أمسكت بقبضة الباب حتى تفتحه، خفق قلبها بعنف. لقد سمعت صوت كارين في الصالة الخارجية. ترددت للحظة، هل تخرج ام تمكث حيث هي، اذ ربما ستذهب كارين بدون ان يطول بقاؤها. لكنها في الأخير دفعت الباب وخرجت.

كانت كارين هناك مع دومنيك، يقفان معاً، وندمت موروينا على

مجرد عاملة مثلك».

«لو كنت في محلك، لكنت اكثر حذراً، ولما سمحت لأحد ان يسمعني وأنا اتحدث بهذه اللهجة».

«لا تنسي ان وضعينا مختلفان تماماً. فهذا البيت لن يكون بيتك النهائي، ولن تكوني هنا سيدة في يوم من الأيام».

«وهل ستكونين انت كذلك؟».

«بالطبع».

قالت كارين بنبرة سعيدة وواثقة. ثم اردفت بعد لحظة سكوت:

«ودومنيك اقتنع بأنني سأقوم ببعض التغييرات في البيت، وبالطبع فان زوجين في بداية زواجهما لا يرغبان في ان يشاركهما عدد كبير من الناس حياتهما. وانيز بالطبع مخلصة لنيكولا، فلا اظن انها ستبقى هنا حين يذهب هو».

قالت موروينا وهي تهز رأسها غير مصدقة:

«ستطردين نيكولا من بيته؟ لن تقدري على ارتكاب مثل هذا الفعل. انه رجل عاجز ومريض».

اجابتها كارين ببرود وهي تلوي شفتيها:

«لقد تحسنت صحته تماماً. ربما سيعيش سنوات طويلة بعد. لا اريد ان ابدأ حياتي الزوجية في ظله. انه يتصرف وكأنه ما يزال هو السيد هنا، وهذا وضع لست مستعدة لقبوله».

«وهل يوافقك دومنيك على هذا؟».

«دومنيك يحبني. ولا يبخل علي بأي شيء اريده».

اجابت وعلى وجهها ابتسامة رضا، ثم اضافت وهي تنظر اليها بكبرياء وغرور:

«انصحك ان تجدي لنفسك مأوى آخر، يا آنسة كيرسلاك،

فاخشى ان تكون ايامك معدودة في هذا البيت. صدقيني».

«اعرف ذلك جيداً، وقد رتبت اموري ان اترك هذا البيت في بداية العام الجديد».

«والى اين تذهبين؟ تبقين تدورين حول نيكولا، حتى يعطف عليك ويأخذك معه الى بيته الجديد. أليس كذلك؟».

«كلا. سأذهب الى لندن واجد لي عملاً حتى الربيع، وبعده آمل ان اذهب الى كاركاسون لآخذ دروساً خاصة في الرسم».

«دروس خاصة؟».

«نعم. مع لينو كريستي».

«يا الهي انك تحلّقين عالياً مع احلامك. ترى من اين ستجدين النقود التي تكفي مصاريف هذه الدراسة؟ من رصيدك في البنك، وانت مجرد فتاة عاملة؟ ام انك تتوقعين ان يمدك نيكولا بالمصاريف؟ الا تعرفين انه وضع كل ما عنده في مشروع حوض الزوارق، ولم يعد يملك قرشاً واحداً؟ اخشى ألا تجدي احداً في هذه العائلة يشتريك بقرش واحد».

ارادت موروينا ان تضربها على وجهها بالعلب التي في يدها، لكنها ضبطت نفسها وقالت لها بهدوء وبرود اعصاب:

«من فضلك لا تقلقي بشأني يا آنسة كارين. الم تسمعي بالمثل القائل، لا تفكر لها مدبر! اعرف كيف سأرتب اموري».

ثم تركتها موروينا واقفة، وعبرت الصالة وصعدت السلالم بدون ان تلتفت الى الوراء. كان قلبها يخفق بشدة، وشعرت بالألم يسري في جسدها، تساءلت ترى هل يعرف دومنيك ما تخططه خطيبته، وزوجة المستقبل؟ ام انه مغرم بها لدرجة انه لا يعير اهتماماً لأي شيء سواها؟ كان باب غرفة نيكولا مفتوحاً حين عبرت من امامه، فرفع

رأسه عن مكتبه وناداها قائلا:

«أهي كارين التي جاءت؟».

«نعم، وهي باقية لتشرب القهوة مع دومنيك».

«اذن انا باق هنا. هيا اغلقي الباب وتعالي، اريد ان اريك شيئاً».

ثم اخرج ورقة قائلا برضا وهو يبتسم:

«هذه الرسالة وصلت صباح هذا اليوم، بينما كنت انت خارج البيت خذيها واقرأيها».

كانت رسالة من احدى الشركات تعلن موافقتها على [illegible] الزورق (ليدي مورووينا)، وان المسؤولين فيها يرحبون بفكرة انتاج الزورق، ويعلنون انهم يستدعونه للاجتماع بهم في اول العام الجديد. لوضع المشروع موضع التنفيذ. هتفت مورووينا فرحة بعد الانتهاء من قراءتها:

«اوه، هذه انباء عظيمة حقاً».

فأجابها بهدوء:

«نعم. لكن ما يزال الأمر يحتاج الى عمل شاق يا صغيرتي. وهذه هي البداية فقط».

«لو كنت مكانك يا نيكولا لوقعت العقد منذ الآن».

هز نيكولا رأسه، ثم اسند ظهره الى الكرسي مسترخياً، وقال:

«سأترك هذا الأمر لدومنيك، هو الذي سيقوم بالمفاوضات مع الشركة، اما انا فسأتفرغ للتصاميم وبناء المشروع».

أخذ الرسالة منها ووضعها في درج مكتبه. ثم اضاف قائلا:

«أشعر انني مُنحت عمراً جديداً».

كانت مورووينا ساهمة تماماً، وكان واضحاً على وجهها انها في عالم آخر، وليست مع نيكولا. فحدّق فيها طويلاً ثم سألها:

«ما الذي حدث يا مورووينا؟».

«لا شيء. انني سعيدة لهذا النبأ».

«كلا، لا بدّ ان هناك شيئاً ما يقلقك. اهو مارك؟».

«ابداً... لا شيء».

«انني واثق ان هناك ما يقلقك. قولي ما هو».

مورووينا احنت رأسها، واخذت تحدّق في يديها، وقالت:

«لقد حان الوقت لاذهب من هنا يا نيكولا. مشروعك قد تحقق الآن، واظن انك لن تستمر في كتابة تاريخ العائلة بعد. لقد وافقت على البقاء هنا حتى اعاونك، ولم تعد تحتاج الى ذلك بعد الآن. اريد ان ابتعد من هنا وان اعثر على حياتي الخاصة».

ظل نيكولا صامتاً لعدة دقائق، ثم قال:

«ظننت انك سعيدة هنا يا عزيزتي».

حمدت مورووينا الله، لأن نيكولا كان يظن ذلك، وانه لم يفطن الى حقيقة العذاب الذي تتحمله في هذا البيت. وقالت:

«انني سعيدة بدون شك. ولكنني لا اقدر على البقاء هنا الى الأبد».

«كنت اظن انك ستبقين معي ما دمت انا في حاجة اليك. او على الأقل لترى الزورق. (ليدي مورووينا) وقد اكتمل بناؤه».

«ارجوك يا نيكولا لا اقدر...».

سادت فترة صمت اخرى، كان كل منهما خلالها غارقاً في افكاره. تكلم بعدها نيكولا:

«لقد هجرتنا باربارة ايضاً. . .».

«اظن أنها ستعود هي حين ابتعد انا من هنا، وتأخذ الأمور مجراها الطبيعي».

«كلا، لن تعود الأمور الى مجراها ثانية. ولا اريدها ان تعود».

ابتسمت مورورينا قائلة:

«يبدو انك تفتقدها يا نيكولا».

قال بصوت ضعيف ويتردد:

«ليس الأمر هكذا يا صغيرتي. ولكن لنرَ هل ستحضر الى عشاء عيد الميلاد».

«عشاء عيد الميلاد؟».

«لقد اصبح هذا تقليداً لدينا. انها تحضر معنا العشاء في مساء كل عيد ميلاد، منذ عشرين عاماً، وكارين معها».

«ربما لن تحضر هذه المرة، حبيبي».

«لا اعرف في الحقيقة».

كان صوته ضعيفاً ومتعباً. وقد خفّت منه الحيوية التي كانت فيه حين تحدث عن مشروع الزوارق. فادركت مورورينا انه يشعر بثقل الوحدة. فقد كان وحيداً قبل ان تأتي هي الى هنا، وسيبقى كذلك حين تذهب. وفكرت انه يجب تحذيره مما تخططه كارين بشأنه قبل فوات الأوان.

في طريقها الى غرفتها، التقت بمارك. فحياها قائلا:

«أنا ذاهب الى العشاء مع بيدي. هل ترغبين في مصاحبتي؟».

«ارغب في الواقع، لكن لدي الكثير من الاشغال لأنجزها قبل العيد، اذهب انت، لكن كن حذراً حتى لا يعرف دومنيك».

ارتسمت على وجهه امارات الحزن والضجر، وقال منفعلا:

«اوه، لقد سئمت من مراقبته الدائمة لي، وكأنني صبي صغير، بينما هو غارق في غرامياته».

«وكيف عرفت؟».

«من سلوكه في الفترة الاخيرة. ومن الخاتم بالطبع».

«خاتم؟».

«نعم، خاتم الزواج الذي يعود لوالدتي. انه واحد من الاشياء العزيزة التي بقيت منها، لقد أخذه الى صائغ في بنزاس لتنظيفه وتصغير حجمه. لذا يبدو ان هناك خبراً مهماً سيعلن عنه مساء عيد الميلاد. وربما سيقنعون باربارة بالمجيء ايضا، ما دام هناك اعلان خطوبة».

«نعم. يبدو انه سيكون احتفالاً عائلياً».

قالت مورورينا بصوت اقرب الى الهمس، وبنبرة حزينة.

«وربما لن يكون ذلك هو الشيء الوحيد»

قال مارك مبتسماً، ثم غمزها وذهب.

لم يمر العشاء في ذلك المساء سعيداً، بالرغم من ان كارين تظاهرت بانها لطيفة وطبيعية حتى انها وافقت نيكولا على رأيه، حين ابدى اعجابه لترتيب مورورينا لشجرة عيد الميلاد. اما دومنيك فقد تأمل الشجرة بنظرة ساخرة بدون ان يقول شيئاً. كما انه لم يعلّق بشيء حين اعلن مارك في نهاية العشاء، انه سيأخذ مورورينا بسيارته في جولة فقال له نيكولا:

«كن حذراً في قيادتك، فالطرق مغطاة بالجليد».

«بالطبع ساكون كذلك. ولماذا المجازفة، خاصة ولدي الآن ما اعيش من اجله».

خيم صمت عميق على الجالسين، واصطبغ وجه موروينا بلون احمر. وهي تنهض من مكانها. لقد اعتقد الجميع ان مارك يعنيها بكلامه هذا. اما تعابير وجه كارين فكانت مزيجاً من الدهشة والعداء، وبالرغم من ان وجه دومنيك لم يفصح عن شيء، الاّ انها لمحت غضباً بارداً فيه حين اختطفت منه نظرة سريعة.

وقالت لمارك غاضبة في السيارة:

«ما الذي دفعك أن تتفوه بهذا الكلام امامهم؟ سيظنون انك تقصدني».

«وسيكتشفون خطأ ظنونهم قريباً».

«لكنك تعقد الأمور علي هنا. سيفكر دومنيك انني. . .».

«سيفكر ماذا يا عزيزتي؟ انتم جميعاً تعيرون اهمية كبيرة لرأي دومنيك، لست ادري لماذا؟ خذي الأمور ببساطة حتى مساء العيد».

«وما الذي سيحدث حينئذ؟».

قال مارك وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

«انتظري وسترين».

ولم ترغب ان تلح عليه في معرفة الأمر، فغيرت الموضوع حتى وصلا الى سانت ايتا.

قال مارك لبيدي في بيتها، وهو ماسك كفها بين راحتيه:

«حبيبتي بيدي، اريد ان تحضري انت وشقيقك، حفلة العشاء في تريفينون مساء عيد الميلاد».

«لا اظن انها فكرة صائبة. . .».

«بالعكس، انه انسب وقت لأعلن فيه، رغبتنا في الزواج، خاصة من المحتمل ان يعلن دومنيك خطبته في الوقت نفسه».

«لن اذهب الى تريفينون من تلقاء نفسي. اما اذا وافق اخوك على

فكرة زواجنا ودعاني بنفسه الى الحضور، فذاك امر مختلف».

في طريق العودة الى البيت، قال مارك متألماً:

«الحقيقة انني لا افهمها. ظننت انها ستفرح بالأمر».

«من حقها الاعتراض، فهي لا تريد ان تكون متطفلة عليهم. ولا تنسَ انني أول من جربت معاملة اخيك للضيوف غير المرغوب فيهم. وكانت تجربة غيرة سعيدة».

«هذا صحيح، لكنه لم يعامل بيدي مثل معاملته لك. لا اتذكر انه عامل احداً، كما عاملك به من عداء وقسوة».

«شكراً».

قالت موروينا، ثم سكتت بعض الوقت، واضافت ثانية:

«عوملت هكذا لانني شاذة عن القاعدة؟».

«لا اعني ذلك لكنني اتعجب احياناً. . .».

قال ثم سكت بدون ان يكمل حديثه.

«تتعجب من ماذا».

سألته موروينا، لكنه تهرب من الجواب، قائلاً:

«لا شيء، انسي هذا الموضوع. اتظنين انه سيكون هناك ثلج في عيد الميلاد؟».

«الجو بارد جداً».

تحدثا كثيراً في امور عادية وهما في طريق العودة، حتى وصلا الى البيت. .

قال مارك لها في الصالة، بعد ان اغلق الباب الخارجي:

«اذا اصرت بيدي على عدم حضور حفلة عيد الميلاد، فسأحترم قرارها، سأتحدث الى دومنيك غداً واخبره بعزمي على الزواج منها. فاذا اعترض بكلمة واحدة، فسأجمع حاجياتي واترك البيت الى سانت

اينا، حتى اجد مكاناً لي وليندي في بورت فينور. بعد الزواج».

«هذا هو القرار الصائب. لا تؤخر حفلة زواجك كثيراً، لاني سأترك تريفيتون بعد العيد مباشرة، ربما في الاسبوع القادم. اريد ان اكون احد الحاضرين في حفل زواجك».

«ستكونين حاضرة بدون شك. بل ستكونين احد الشهود مع شقيقها».

قالت موروينا مبتسمة:

«سأكون سعيدة بذلك».

انحنى وطبع قبلة على جبينها قائلاً:

«انا وليندي نشكرك جداً. لقد ساعدتنا كثيراً».

ارادت ان تقول له بانها لم تفعل شيئاً، سوى انها ازالت سوء التفاهم بينهما، لكنها سمعت حركة من خلفها، فاستدارت لترى ما هي، فلمحت باب مكتب دومنيك مفتوحاً، وهو واقف هناك يحدق فيها بوجه عابس.

ترك مارك ذراع موروينا، وقال لدومنيك ضاحكاً:

«مرحباً دومنيك. لم اعرف انك ما زلت مستيقظاً».

«هذا واضح، آسف اذا ما افسدت عليكما لحظة حب جميلة».

اجابه بصوت بارد وغاضب، ثم استدار ودخل مكتبه بعد ان صفق الباب وراءه بعنف.

«يا للجحيم!».

قال مارك بسخط، ثم سار خطوة قائلاً:

«سأذهب لكي اوضح...».

لكن موروينا امسكت ذراعه قائلة بنبرة متوسلة:

«كلا، انه غاضب الآن. دع هذا الأمر للصباح».

«لماذا يتصرف بهذا الشكل؟ انني لا افهمه بالحقيقة. في اية حال،

لنترك الأمر للصباح، ربما سيهدأ ونستطيع ان نفهم منه ما يريد».

ظلت موروينا تتقلب في فراشها بدون ان تقدر على النوم. ثم اضاءت المصباح الذي بجانب الفراش. ونظرت الى الساعة. كانت تشير الى الثانية صباحاً، وهي لم تغمض عينيها بعد. ودفنت وجهها في الوسادة وهي تتمنى لو ان لديها الآن حبة منومة، رغم انها لم تستعمل منها سابقاً. ثم فكرت انه ربما سيساعدها قدح من الحليب الساخن في ترخية اعصابها ويعينها على النوم. فنهضت من فراشها وارتدت قميصها، ثم فتحت الباب بهدوء وخرجت. كان الجميع مستغرقين في النوم، فنزلت السلالم ببطء، والقت نظرة على غرفة دومنيك، فوجدتها مغلقة ولا اثر لحركة فيها. اتجهت الى المطبخ ودفعت بابه فانفتح محدثاً صريراً خفيفاً. وضعت مقداراً من الحليب في اناء، ثم تركته على النار. وحين اصبح ساخناً، ملأت قدحها منه، واستدارت لتترك المطبخ، حين لمحت دومنيك واقفاً في الباب. ارتجفت من المفاجأة، وكادت تفلت قدح الحليب من يدها.

لكنها تماسكت وقالت مبتسمة:

«اوه، انني آسفة اذا كنت ايقظتك من نومك. لم استطع النوم. اتريد قليلاً من الحليب؟».

«كلا، شكراً».

«الاضواء جميعها مطفأة. فظننت ان الجميع نائمون».

«كنت جالساً في مكتبي، ما زالت هنالك نار في المدفأة، تعالي واجلسي معي».

استنتجت موروينا من طريقة حديثه، انه غاضب. فأجابته وهي تترك المطبخ:

«شكراً، سأعود الى غرفتي، ربما سأنام قليلاً».

لكنه امسكها من ذراعها قائلا:

«قلت انك لا تستطيعين النوم، اذن تعالي واجلسي معي».

رفعت موروينا وجهها اليه وقالت بحدة:

«الا يمكن ان تختار لحظة اكثر مناسبة من هذه، لتتحدث الي؟».

اطلق ضحكة قصيرة وقال:

«بدون شك انه ليس بالوقت المناسب للحديث، ولكن يبدو لي انك ستختفين قريباً فجأة، كما جئت فجأة، لذلك افضل ان اقول لك كل ما عندي قبل ان تختفي».

ثم قادها من ذراعها الى مكتبه وأجلسها على المقعد المواجه للمدفأة. قائلا بحدة:

«اجلسي».

وجلس هو في مقعد آخر. وظلا صامتين بعض الوقت حتى قالت:

«قلت انك تريد ان تتحدث معي...».

«نعم. لم انس ما قلت».

قال ونهض من مكانه، وجلس الى جانبها على المقعد واردف بعد لحظات من الصمت:

«انت ما زلت طفلة يا موروينا. اجل، خاصة الآن بثوب النوم هذا، وشعرك المحلول. طفلة حقيقية، لا تدركين مدى الاذى الذي تسببينه لبعض الناس بتصرفاتك».

«لا افهم ما تقصده».

«لقد اخبرتنا كارين، ان عمتها لن تحضر حفلة العشاء مساء عيد الميلاد. واعتذرت لأن صحتها لا تسمح لها بالمجيء. الحقيقة انها

كانت على علاقة حب مع نيكولا لسنوات. ولكن انتها الاثنين- انت ونيكولا- اثرتما فجأة كل تلك الذكريات الحزينة في ذلك المساء، وسببتما لها كل ذلك الألم. لماذا بحق السماء؟».

«ليس الأمر كما تفهمه انت. لم يفعل نيكولا غير انه كشف بعض الحقائق».

«هل انت واثقة من انك تعرفين ما هي الحقيقة؟».

«اعتقد ذلك».

«ان هدفك ليس السعي وراء الحقيقة، بقدر ما هو استغلال الآخرين».

«اذا كنت تحسب بقائي هنا استغلالاً فاني راحلة قريباً».

«الى كاركاسون، لدراسة الرسم أليس كذلك؟».

«كارين اخبرتك بالأمر. حسناً انه كذلك. ألديك اعتراض؟».

«بالعكس».

قال دومينيك، ثم تأملها طويلا، واضاف مبتسماً:

«اذا كنت قد فشلت في تحقيق هدفك الأول، فانني لا اتردد في مساعدتك لتحقيق هدفك الآخر».

نظرت اليه مستغربة وسألته:

«ماذا تعني؟».

«انك تجيدين التمثيل حقاً، رغم صغر سنك. اتعرفين فانيسا؟».

«اجل. انها ابنة عمي».

«وصلت منها بطاقة عيد الميلاد لك. وقد فتحتها خطأ، وانا اعتذر عن ذلك. لم اتوقع ان يرسل احد لك خطاباً الى هنا. انها تسألك في بطاقتها فيما اذا كنت قد نجحت في اقناع ملك تريفيون الوسيم،

بالزواج منك، او لتمويل دراستك على الاقل في كاركاسون، وبما انك في نصف عمري، وآخر من افكر بالزواج منها، لذا فأنا على استعداد لأن اعطيك ما تحتاجينه لدراستك هذه. ولكن على شرط».

احست مورورينا انها لا يمكن ان تذل اكثر من هذا، وان الموت اهون بكثير مما تلاقيه هنا من اذلال. ابتعدت قليلاً عنه وتطلعت الى وجهه بيأس شديد؛ وقالت:

«اوه يا دومنيك. اهذا هو ثمن حبي لك؟».

«حب؟ عماذا تتحدثين؟ لا تنسي اني في ضعف عمرك».

ادركت مورورينا انه لا فائدة من التحدث معه بعد، وان الأمور قد وصلت الى نهايتها. عليها ان تغادر هذا المكان في اقرب وقت ممكن. ان دومنيك يعود لامرأة اخرى. انه ملك كارين. وهي التي ستفوز به في النهاية. فلماذا تذل نفسها هذا الاذلال؟ ماذا تريد منه، وقد كشف عن مشاعره نحوها منذ اول يوم وصلت؟.

نهضت من مكانها لتغادر الغرفة، لكنه امسكها من ذراعها واجلسها ثانية:

«اجلسي، لم انته من حديثي بعد».

«دعني وشأني، ماذا تريد مني؟».

«سأعطيك مصاريف دراستك، بشرط ان تبتعدي من هنا فوراً، وتتركي نيكولا وشأنه. اريد ان يعيش بسلام بقية حياته، ولا يمكن ان يتحقق ذلك بوجودك معه. دعيه وشأنه. هل تعدينني بذلك؟».

«لا اقدر ان اعدك، اتمنى لو استطيع، صدقني...».

«اصدقك؟».

قال ساخراً ثم اضاف:

«في اية حال، لقد انذرتك. وقد اعذر من انذر».

هرعت الى غرفتها وكأن الشيطان يلاحقها. واغلقت الباب من الداخل خشية ان يتبعها دومنيك.

اخفت وجهها بين راحتيها وهي على فراشها وهمست: عليّ أن أنقذ البقية الباقية من كبريائي قبل فوات الاوان...

٩ - آثار على الثلج

«هل أنت مجنونة؟»

سألها نيكولا محاولاً اقناعها بالعدول عن قرارها. ثم اضاف:

«أتظنين انك قادرة على العثور على عمل او مأوى في هذا الوقت من السنة؟ ان مجرد التفكير في ترك البيت الآن، هو جنون بحد ذاته».

«لا بد ان اذهب».

كررت موروينا بأصرار، وقد احنت رأسها، تحدق في الأرض.

«وعدتني بأنك ستقضين عيد الميلاد معي. كيف ستتركينني خاصة ان باربارة قررت عدم حضور العشاء معنا في العيد؟».

«نعم، سمعت بهذا. وهو احد الاسباب التي تدفعني للابتعاد من

هنا. وأنا متأكدة انها ستحضر اذا ما ذهبت انا. وستعود الأمور بينكما كما كانت. انها تستاء من وجودي».

«هذا مجرد تخمين. ما الذي يجعلك تظنين انها ستغير رأيها. تتعلل بالمرض، ولم ارها يوماً مريضة في حياتها».

«ربما هي مريضة حقاً. ربما اصيبت بصدمة».

«اسمعي يا صغيرتي. انك اعز من ان اتركك تتشردين بدون مأوى. ابقي معنا فترة العيد على الأقل. وبعدها لن اقف في طريقك اذا ما رغبت في الذهاب».

ابتسمت موروينا بالرغم من وجهها الشاحب وقالت:

«حسناً يا نيكولا، سأبقى حتى نهاية عيد الميلاد. ولكن يجب ان تعدني بانك ستتركني اذهب بعد ذلك».

«اعدك بذلك، اذا كنت تصرين على الذهاب».

قال نيكولا يائساً وقد غطت وجهه تعابير الحزن والألم. وحين لمحته موروينا كذلك، غيرت موضوع الحديث قائلة:

«هل تشعر بتحسن في يدك، خاصة انك مقبل على عمل جديد؟».

«افضل مما كنت اتوقع. يبدو ان التمارين التي مارستها طوال تلك الأشهر قد افادتني كثيراً».

عرفت موروينا انه يرغب في استئناف عمله، لذا اعتذرت قائلة ان لديها بعض الهدايا لم تغلف وتشد بالاشرطة، فانسحبت الى غرفتها. لقد انفقت كل ما تملك من نقود في شراء الهدايا. اشترت زوجاً من الخف المطرز لانيز، وقفازات قيادة لمارك... اما لنيكولا فقد اقتنت له ربطة عنق من الحرير الصافي. ولم تنسَ حتى زاك، فهيأت له كيساً من تبغه المفضل. شخص واحد فقط في البيت كان

خارج قائمة هداياها. دومنيك. كانت تود لو تشتري له اثمن هدية يمكن اقتناؤها. ان تهب له الشمس والقمر والنجوم. لكنها ادركت ان اية خطوة من جانبها لكي تهدي له شيئاً وفي مثل هذه الظروف، ربما متسبب الاذى لكليهما، بل ربما تؤدي الى المزيد من العداء بينهما.

اكتفت فقط بالابتهال الى الله، ان تمر الأيام القليلة القادمة بسلام حتى تترك هذا البيت.

كانت غارقة في افكارها هذه، حين وقعت عيناها على رسالة فوق طاولة الزينة. التقطتها. كانت بطاقة فانيسا، وكانت على غلافها عبارة مكتوبة بقلم الرصاص، «فتحت خطأ اعتذر لذلك». اعطت بعض الحق لدومنيك على فتحه لها، حين وجدت العنوان غير دقيق عليها، وقرأت العبارة التي نقلها دومنيك اليها. فلامت فانيسا عليها، اذ انها تعرف جيداً ان بطاقات اعياد الميلاد عادة تكون معرضة للقراءة من قبل الآخرين. فلماذا كتبت مثل هذه العبارة؟ انتبهت من افكارها حين سمعت طرقاً على بابها. فقالت بتردد:

«ادخل».

انفتح الباب واطل رأس مارك. وقال مبتسماً:

«انني ذاهب الى بورت فينور. هل تريدين المجيء، ربما تحتاجين شراء شيء...».

«لا احتاج شيئاً».

«تعالي في اية حال. اريد التحدث معك».

لم تكن مورورينا راغبة في الذهاب، غير انها وافقت تحت الحاحه. فارتدت سترتها ولفت حول عنقها ربطة صوفية. وتركت البيت.

كان مارك ينتظرها في السيارة، وحالما جلست على المقعد،

انطلقت السيارة بسرعة غير اعتيادية. فسألته بدهشة:

«ما الذي حدث؟ لماذا هذه السرعة؟».

«لا ادري، انني لا اصدق حقاً».

«ما الذي لا تصدقه؟ ما الذي حدث؟».

«ذهبت الى مكتب دومنيك هذا الصباح. ووجدته وكأنه كان ينتظرني. كان في حالة نفسية سيئة، لكن حين اخبرته انني ما زلت احب بيدي، بالرغم من اعتراضه، واننا سنتزوج قريباً. وقد دعوتها وشقيقها الى العشاء في مساء عيد الميلاد كافراد العائلة. وافق بدون اية كلمة اعتراض. ان هذا لا يصدق».

«هذا رائع حقاً!».

«فعلاً. ولكن هذا ليس كل ما في الأمر. فحين اخبرته ان بيدي رفضت الحضور الى تريفينون بدون دعوة منه بالذات، اخبرني انه سيذهب بنفسه اليها هذا الصباح لدعوتها. اكاد لا اصدق هذا!».

«انني سعيدة من اجلكما».

اذن سيأتي بيدي الى تريفينون مساء غد. سيكون هنالك زوجان من العشاق. مارك وبيدي. دومنيك وكارين. سيتلقون التهاني لخطوبتهم. اما هي ونيكولا فسيجلسان في زاوية مثل غرباء، لن يلتفت اليهما احد. حبذا لو حضرت باربارة، اذن لوجد نيكولا هو الآخر صديقته. انه بحاجة اليها رغم ادعائه غير ذلك. فهو يشعر بثقل الوحدة والشيخوخة، رغم انشغاله بمشاريعه الكثيرة. اما هي فستحمل عذاب الايام القليلة الباقية، ومن ثم ستبتعد من هنا والى الأبد.

كان مارك يتحدث باستمرار عن احلامه ومشاريعه، بينما هي سارحة في افكارها.

«ستغلق الشركة ابوابها بعد ظهر هذا اليوم بمناسبة عطلة عيد الميلاد، وكتقليد سنوي نقيم حفلة صغيرة اليوم في الشركة. سيرحبون بك اذا ما رغبت الاشتراك معنا».

«ومن الذي يحضر؟».

«الجميع طبعاً. دومنيك. نيكولا. العمة باربارة، لكن اظن انها لن تحضر هذه المرة».

«وكارين؟».

«ستحضر بالطبع. وهل تتخلف عن مثل هذه المناسبة؟».

«لها الحق في ان تحضر».

«هل اخبر دومنيك انك ستحضرين ايضاً؟».

«كلا».

اجابت بصوت قاطع. ثم اضافت بعد قليل:

«ساعود الى تريفينون بعد ان انتهي من شراء حاجياتي».

«توفرين حيويتك الى مساء الغد، اليس كذلك؟».

قال مارك ضاحكاً.

ثم سألها بعد صمت قصير:

«والآن، الى اين تريدين ان اوصلك؟».

اجابته شاكرة ونزلت.

سارت على طول الشارع الرئيسي، وهي تتطلع الى واجهات المخازن التي زينت واضيئت بشكل باذخ. وحين وصلت الى نهايته، خفق قلبها بشدة، اذ لمحت بيت باربارة انجلس، الكبير والمصبوغ بالأبيض حديثاً، وسط حديقة فسيحة، على مكان مرتفع يطل على بورت فينور. وفكرت موروينا وهي تدفع باب الحديقة وتدخل، انه لن تتاح لها فرصة افضل من هذه حتى تواجه باربارة بالحقيقة الخافية،

وتضع حداً نهائياً لهذه القصة الحزينة.

كانت عائلة انجلس ميسورة الحال ومحظوظة دائماً، لذا فان باربارة لم تكن تتوقع ان يفضل السيد روبرت كيرسلاك امرأة اخرى عليها، وهي التي وهبت قلبها له. كانت الصدمة اشد وقعاً عليها، مما كانت على نيكولا، حين خطف السيد روبرت لاورا وهرب بها من تريفينون.

سارت موروينا عبر ممر الحديقة، مرفوعة الرأس وعازمة على رمي الحقيقة في وجه باربارة مهما تكن النتائج، حتى وصلت الى باب الصالة، وضغطت على الجرس. كان يوماً غائماً وداكن اللون، وكانت الغرف مضاءة. سمعت وقع اقدم آتية، فابتهلت الى الله ان لا تكون كارين. انفتح الباب واطلت منه امرأة طويلة القامة في ثوب اخضر.

«اريد رؤية الآنسة انجلس من فضلك».

حدقت المرأة في وجهها بفضول. وقالت:

«انها متوعكة الصحة هذا اليوم، وهي نائمة في غرفتها. لكن الآنسة كارين موجودة...».

«كلا، افضل التحدث الى الآنسة انجلس مباشرة. احمل لها رسالة من تريفينون، رسالة شخصية».

قالت المرأة بتردد وارتباك:

«حسناً، ولكن لا ادري اذا... رسالة لها... حسناً ساخبرها...».

«لا داعي لازعاجها. ارني الطريق وسأسلم الرسالة لها بنفسي. انها رسالة عاجلة».

قادتها المرأة الى الطابق العلوي. ووقفت امام باب مغلق قائلة:

«هذه غرفة الآنسة انجلس».

دفعت موروينا الباب ودلفت بدون استئذان. كانت الغرفة غارقة في الصمت. وكان الضوء فيها ضعيفاً. وظنت ان المرأة ربما قد اخطأت الغرفة، اذ بدت هذه خالية من احد. لكنها سمعت صوت باربارة فجأة:

«انت. من سمح لك بالدخول».

كانت متمددة على فراشها تحدق فيها بذهول.

«خادمتك، يا آنسة انجلس، لكنها لا تستحق اللوم، فقد وافقت حين اخبرتها انني احمل لك رسالة».

كانت موروينا هادئة وهي تسير نحو الفراش.

«يا لوقاحتك! كيف تتجرأين على الدخول الى غرفتي؟».

قالت بحدة وقد استوت جالسة على فراشها. اتسعت عيناها دهشة وغضباً وتابعت:

«رسالة من نيكولا؟ الم يجد احداً غيرك ليكون رسوله الي؟».

«انه يجهل وجودي هنا. ربما سيغضب مني قدر ما انت غاضبة اذا عرف بالأمر. لكنني تحملت هذه المجازفة، حتى ازيل سوء التفاهم بينكما».

«ليس هناك اي سوء فهم بيني وبينه. كل ما في الأمر انني لا ارغب في زيارة بيت تعامل فيه ابنة غريمتي كضيف شرف. والآن اتركي بيتي يا آنسة كيرسلاك، ولا تتدخلي فيما لا يعنيك».

«اعرف انك تكرهين والدتي، وانا افهم ذلك...».

قالت موروينا وهي تعض على شفتها. ثم سحبت كرسياً الى جانب الفراش وجلست.

«طلبت منك ترك بيتي حالاً».

قالت باربارة بنبرة هستيرية.

«كلا، لم انته من حديثي بعد. انت تتحدثين عن اخطاء الآخرين، لكنك تنسين خطأك وهو الأكبر. سرقت تصاميم الزورق (ليدي لاورا) وبعتها الى شركة اخرى بثمن بخس. هل كنت حقاً بحاجة الى المال؟ هل المبلغ الذي حصلت عليه يساوي تلك الجريمة التي ارتكبتها بحق اهل تريفينون؟».

اصيبت باربارة بالذهول، وانكمشت على نفسها، وبدت وكأنها تحولت الى كائنة اخرى. ظلت صامتة لفترة طويلة، ثم قالت بصوت ضعيف:

«كيف عرفت بذلك؟ لاورا اخبرتك، اليس كذلك؟ كنت خائفة من هذا منذ لحظة مجيئك الى تريفينون. ماذا تريدين؟ نقوداً؟ اخبرتني ابنة اخي، انك تودين دراسة الرسم، ولا تملكين النفقات. هل تريدين نقوداً؟».

«كلا. كلا. انت حقاً انسانة ساذجة. لم اكن اعرف شيئاً عن موضوع التصاميم حتى يوم وصولي الى تريفينون. ولم تخبرني والدتي بشيء، لانها هي نفسها لم تكن تعرف شيئاً عن هذا الموضوع».

«من الذي اخبرك اذن؟».

كانت نبرات باربارة اشبه بالبكاء. ترددت موروينا في الحديث، لكنها عرفت انها لن تجد فرصة كهذه ثانية. فقالت بهدوء:

«نيكولا هو الذي اخبرني».

للحظات ظنت موروينا ان باربارة اصيبت بالاغماء. وقعت المرأة على ظهرها شاحبة اللون، وتقلص فمها. لكنها غمغمت اخيراً.

«اذن فهو يعرف».

«انه يعرف منذ البداية».

قالت موروينا وانحنت عليها واخذت يدها الباردة بين راحتيها. ثم اضافت:

«كان ينتظرك طيلة هذه السنوات، ان تذهبي اليه وتعترفي بخطأك. الا تعتقدين ان الوقت قد حان لأن تذهبي اليه وتعتذري منه؟».

نهضت باربارة وجلست على فراشها. كانت ما تزال شاحبة، وفي شفتيها رعشة خفيفة وقالت:

«اعطني قليلاً من الماء من فضلك».

جلبت موروينا الماء لها وقالت:

«ما الذي ستفعليه؟».

«لا ادري. ربما سأذهب في عطلة طويلة. لا استطيع مواجهة احد بعد الآن».

«وماذا بشأن نيكولا؟».

قالت باربارة بنبرة حزينة:

«نيكولا؟ كيف استطيع ان اواجهه بعد الآن، ما دام يعرف بالأمر. كيف اتحمل هذا العار؟».

«لكن كلاكما تحملتما الكثير طوال هذه السنين. الا تظنين ان الوقت قد حان لكي تعودا لبعضكما، في لحظة صدق؟».

«لقد فات الأوان. سأذهب من هنا بعد العيد. هذا كل ما اقدر عليه».

«كلا، انك مخطئة. لا داعي لذلك. نيكولا يحبك. ويريدك، قولي له الحقيقة. هذا كل ما يريده».

استلقت باربارة على فراشها ثانية، واغمضت عينيها وقالت:

«اني شاكرة لمجيئك الى هنا. اتركيني الآن لوحدي من فضلك».

نهضت موروينا، وقالت لها:

«لا مبرر لكل هذا اليأس. احضري غداً حفلة العشاء في تريفينون. وانا اعدك ان كل شيء سيجري على ما يرام. انني اعرف ذلك يا آنسة انجلس».

«اتركيني الآن من فضلك...».

تأملت موروينا وجه باربارة للحظات، ثم سارت الى خارج الغرفة. كانت في منتصف الطريق وهي تنزل السلالم، حين انفتح احد الابواب في الصالة وخرجت كارين. جمدت موروينا في مكانها، وابتهلت الى الله ان لا تلمحها، لكن كارين رأتها. فاصيبت بالذهول، وصاحت عالياً:

«ماذا تفعلين هنا؟».

ثم عادت مسرعة الى الغرفة التي خرجت منها وهي تصيح:

«دومنيك!».

خرج دومنيك ووقف يحدق فيها، بدون ان يصدق عينيه. ثم قال بهدوء شديد:

«ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟».

«جئت لادعو الآنسة انجلس الى حفلة العشاء في تريفينون».

قالت كارين:

«انت جئت لتدعيها الى العشاء؟ يا رب السموات! اليس هذا استفزازاً لها».

«اوه، لا تقلقي. انها رفضت بالطبع».

قالت موروينا بينما نزلت بقية الدرجات.

«هيا، اخرجي من هنا... حالاً».

سارت كارين الى الباب وفتحته، مؤشرة لها بالخروج.

«انتظري موروينا».
صاح دومنيك.
«كلا، ليس عندي حديث معك».
اجابته بدون ان تلتفت اليه، واستمرت في طريقها.

حين القت نفسها خارج البيت استنشقت الهواء بعمق. وكان الثلج قد بدأ بالسقوط. لكنها لم تعر ذلك اهتماماً. اذ لم تكن تحس ببرودة الجو اطلاقاً. كانت قد فقدت الاحساس بما يدور حولها.

في صباح اليوم التالي حملت حقائبها، بعد ان اعدتها، وتركت البيت قاصدة بيدي.

«هل انت جادة فيما تقولين. تعنين انك هربت من البيت؟».
سألت بيدي باستغراب فاجابتها موروينا:
«ليس بالضبط. كنت سأترك البيت في كل حال، ولكني تركته مبكراً عما كنت قد خططت له».
«والى اين ستذهبين؟ بالطبع تستطيعين البقاء معنا المدة التي تشائين. ولكن هل عرفوا انك تركت البيت؟».
«تركت ملاحظة لنيكولا، اخبرته فيها انني قررت العودة الى بريبوري. سيفكرون انني ذهبت الى بنزاس لاخذ القطار الى لندن».
«ولكن مارك سيكتشف الأمر. لا يمكن ان نخفيك في الخزانة كلما طرق الباب».
«اوه، آسفة يا بيدي، على ازعاجي لك».
«بالعكس. انني قلقة عليك يا عزيزتي».
«لم استطع البقاء اكثر في تريفينون. لقد ادركت كم هو غاضب علي».
«من؟ نيكولا؟».

«كلا، بل دومنيك».
«اوه، هذا هو الأمر اذن».
«نعم يا بيدي. ولكن لا تقولي شيئاً لمارك ارجوك».
هزت بيدي رأسها، وقالت:
«لكن مارك الح لشيء من هذا القبيل».
«اوه. كلا. ظننت ان احداً لا يعرف بالأمر».
«تعرفين، انه ليس من السهل اخفاء مثل هذا الشيء عمن يعيشون في البيت نفسه معك».
«أعرف ذلك».
«الا تخبريني بقصتك يا موروينا. ام انها حزينة لدرجة لا تريدين الافصاح عنها؟».
«اوه، انها قصة طويلة يا بيدي».
سردت لها موروينا قصة والدتها في تريفينون، ثم زواجها من ابيها، وموضوع سرقة تصاميم الزورق، الى آخر ما حدث في بيت باربارة. فسألتها بيدي:
«الم تخبري نيكولا عما جرى في بيت باربارة؟».
«كلا، ذهبت الى غرفتي مباشرة، وبقيت فيها طيلة المساء متعللة بالصداع. وحزمت حقائبي، ثم تركت ملاحظة لنيكولا. ودخلت الى فراشي. لكني لم استطع النوم حتى الصباح. وتركت البيت قبل ان يستيقظ احد».

مر النهار ببطء، وبيدي منشغلة بتهيئة الهدايا لمارك واخيها. وكانت موروينا تراقبها ساهمة، وهي جالسة قرب المدفأة، وانشغلت بعض الوقت برسم الأواني الخزفية التي كانت في الصالة. قالت بيدي:

«لا اريد ان اقلقك، ولكن مارك سيحضر خلال خمس دقائق».

ولم يمر الا دقائق قليلة، حين سمعت صوت محرك سيارة امام باب البيت. فقفزت من مكانها. وجمعت اوراقها، وهرعت صاعدة السلالم الى الطابق العلوي، وظلت تسترق السمع للقادم الجديد. سمعت لغطاً في الاسفل، لكن الصوت لم يكن صوت مارك. ثم سمعت بيدي تقول:

«قلت بانك اتصلت باهلها في بريوري، يا سيد تريفينون، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عنها، آمل ان لا يكون عمك قد اخذه القلق عليها».

«بالطبع انه قلق جداً».

قال دومنيك، ثم اضاف ثانية:

«لقد اخذت حقائبها معها. مارك ذهب الى المحطة، لكنه لم يعثر عليها. بالطبع انت لا تعرفين شيئاً عنها».

«كلا، في الحقيقة. لكن اظن انه لا داعي للقلق بشأنها. لا بد ان لفتاة محبوبة مثلها اصدقاء كثيرين تستطيع ان تلجأ اليهم».

لم تنتظر مورونيا ان تسمع جواب دومنيك. فانسحبت الى الغرفة، وجلست على الفراش واضعة وجهها بين راحتيها. ثم سمعت صوت انغلاق الباب، ومحرك السيارة وهي تبتعد. لقد ظلت الآن وحدها في البيت، بعد ان اخذ دومنيك معه بيدي الى تريفينون. نهضت من مكانها واعدت القهوة، واستمعت الى الراديو بعض الوقت، لكن صدى صوت دومنيك لم يكن يفارق ذهنها. ثم اخذت تدور في ارجاء الغرفة، بينما كان فكرها يحلق في تريفينون: ترى ماذا يفعلون الآن؟ والى اين وصلت حفلة العشاء؟ هل تبادلوا الهدايا؟ ماذا تبادل دومنيك وكارين من هدايا؟ وهل يقفان الآن يداً

بيد وهما يتلقيان تهاني الآخرين؟ وماذا عن بيدي ومارك؟ ونيكولا؟ هل اشترك معهم في الحفلة؟ ثم هل فتحوا الآن هداياهم؟ واحست بالألم حين تذكرت دومنيك، وانها لم تترك له اي شيء. لا هدية ولا بطاقة ولا حتى كلمة. ولكن ماذا يغير هذا من الأمر، اذا كان يكرهها؟ ثم ماذا كان بامكانها ان تهديه؟ كل الهدايا تبدو تافهة بالنسبة اليه.

كانت مفكرتها على الأرض، فأخذتها وبدأت تقلب صفحاتها. حتى وصلت الى صورة لنفسها، رسمتها وهي واقفة على الساحل. وقالت في نفسها: «لماذا لا ابعث هذه الصورة له؟». كانت افضل هدية تبعثها بالبريد من لندن. ولكن انذاك سيكون العيد قد مر ولن تبقى مناسبة لارسالها. لماذا لا تذهب الى تريفينون وتضع الصورة هذه تحت شجرة عيد الميلاد خلسة. انهم الآن في قاعة الطعام، وسيبقون هناك طويلاً، وبامكانها ان تدخل قاعة الجلوس وتترك الصورة مع الهدايا بدون ان يلمحها احد.

اخذت الصورة من المفكرة وكتبت اسمها عليها. ثم وضعتها في مظروف، كتب عليه اسم دومنيك. ثم طلبت سيارة تاكسي بالهاتف، وظلت تنتظر بعد ان ارتدت حذاءها ولفت ربطة صوفية حول رقبتها ورأسها.

طلبت من سائق التاكسي ان يتوقف على بعد من البيت، خشية ان يسمع احد في الداخل صوت السيارة. ونزلت.

فتحت الباب بهدوء، كان الضوء خفيفاً في الصالة، وكان باب قاعة الطعام مغلقاً، تنبعث منها أصوات مبهمة. فسارت على اطراف اصابعها حتى قاعة الجلوس، وتركت المظروف مع بقية الهدايا تحت شجرة عيد الميلاد. ثم غادرت البيت كما دخلت بهدوء.

في الطريق التفتت الى الوراء والقت نظرة اخيرة على البيت، وفكرت انها ستحن اليه رغم ما قاست فيه من آلام. كما انها ستفتقد الشاطىء وامواج البحر. فقررت ان تذهب وتلقي اخر نظرة على الساحل الاسباني، قبل ان تترك هذه المنطقة الى الأبد.

سارت على ضوء المصباح اليدوي، حتى وصلت الى الساحل، وكان الثلج ما يزال يسقط رغم انه خف قليلاً، ووقفت فوق الصخور وتطلعت الى البحر، والى الأمواج التي تتكسر على الساحل مخلفة شريطاً ابيض من الزبد، واصغت الى الهدير الذي كان يأتي في فترات منتظمة.

وجهت ضوء البطارية الى الصخور، حتى وجدت مكاناً يمكن النزول منه. فاخذت تنقل خطواتها بحذر خشية الانزلاق والسقوط بسبب الثلج المتجمد. فنزلت عدة خطوات، ثم فجأة زلت قدمها وفقدت توازنها وهوت على الساحل وهي تطلق صرخة قوية.

احست بألم شديد في ساقها، وحاولت ان تحركها لكنها شعرت بالاعياء فتيقنت ان كاحلها قد اصيب بالالتواء. ظلت في مكانها فترة وهي ترتجف من الألم والبرد. ثم اخذت تزحف على يديها شيئاً فشيئاً باتجاه الصخور، ساحبة رجلها ببطء. واسندت ظهرها الى الصخور المتجمدة واغمضت عينيها. اذن عليها ان تظل هنا حتى الصباح حتى يأتي من ينقذها ويحملها الى سانت اينا. اما كان جنوناً منها ان تأتي الى هذا المكان الموحش في منتصف الليل؟ اما كان بالامكان ان تأتي في النهار وان تمنع عنها كل هذه الآلام؟

فتحت عينيها، ورأت ان الامواج تقترب منها اكثر في كل مرة، وان مساحة اليابسة التي بينها وبين الماء، تتقلص شيئاً فشيئاً. انذاك عرفت انه المد. وانه سيرتفع حتى يغمرها وربما يجرفها معه الى

البحر.

اطلقت صرخة قوية، لكن صوتها لم يخرج الا ضعيفاً اشبه بالمواء. وشعرت بالمياه وقد غمرت قدميها، فاستسلمت يائسة. ليأخذها المد في منتصف الليل، ويسلمها الى البحر. ولينتهي هذا العذاب الى الأبد. وداعاً يا تريفينون، وداعاً ايها الاحياء. وداعاً يا دومنيك، فقط لو عرفت كم كنت صادقة في حبك. لو كنت عطوفاً معي مرة واحدة، واسمعتني كلمة حب واحدة. كم احببتك يا دومنيك... دومنيك... دومنيك.

تناهى الى سمعها صوت، صوت دومنيك وهو يهتف باسمها... موروينا... موروينا. فاستسلمت للحلم الجميل وللمد الذي غمرها حتى منتصف جسدها، وفجأة شعرت بذراع قوية تحيط بها وتحملها وتشدها الى صدر حبيب، وصوت دومنيك قائلاً لها بلهفة: «يا حبيبتي لقد وجدتك. انت سالمة. اهدأي. اهدأي، ولفي ذراعك حول رقبتي».

وفكرت، انه حلم لذيذ، ما اكثر الاحلام. فتركت نفسها يحملها شبح اسود ويذهب بها.

حين فتحت عينيها، كان هناك ضوء خفيف في الغرفة، فعرفت انها لم تكن في حلم. ادارت عينيها فيما حولها، كانت نائمة في فراشها وانيز تحدق في وجهها بحنان وهي تقول:

«عيد ميلاد سعيد يا عزيزتي. لقد قلقنا عليك!».

«أنا آسفة».

اجابتها موروينا بابتسامة خفيفة. ثم سألت بصوت ضعيف: «ما الذي حدث لي. اعرف انني سقطت من فوق الصخور، وان المد كان يغمرني، ثم فقدت وعيي».

«وماذا كنت تفعلين هناك يا عزيزتي. لماذا تركت بيتك بدون ان تخبري احداً».

«اوه، لا اريد ان اتذكر شيئاً».

«ارتاحي الآن. وتناولي شيئاً من هذه الشوربة الدافئة. بعد ذلك سأمشط شعرك، لأن السيد دومنيك ينتظر في الصالة».

«لا اريد رؤية احد اطلاقاً».

«انه ينتظر هناك منذ الليلة الماضية، لم ينم اطلاقاً، ظل ساهراً بالقرب منك. ثم عليك ان تشكريه، فهو الذي عثر عليك على الشاطىء وحملك الى البيت جثة هامدة».

«اذن ذلك لم يكن حلماً؟».

«اي حلم يا عزيزتي، هو الذي خرج باحثاً عنك في الليل».

«يخيل لي انني رأيت الآنسة انجلس في البيت ايضاً».

«انها هنا. نامت الليل في غرفتك القديمة».

قالت انيز ثم اضافت وهي تبتسم:

«الأمور رجعت الى مجراها الطبيعي بينها وبين نيكولا. ويبدو انهما سيحققان حلمهما بعد كل هذه السنين. كذلك مارك وخطيبته الشابة».

حملت انيز الصينية من امام مورووينا، وجلبت مشطاً، واخذت تمشط شعرها رغم احتجاجها:

«اهدأي قليلاً. لا يمكن ان يراك وانت بهذه الحالة».

تركت انيز الغرفة، بعد ان انتهت من تسريح شعرها، وهي تطلب منها ان تكف عن البكاء. ظلت مورووينا جالسة في فراشها، حتى سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، ورأت الباب ينفتح بهدوء ويدخل دومنيك. شعرت بقلبها يقفز من صدرها.

«لا حاجة لأي كلام يا مورووينا. دعيني اجلس ... وانظر اليك حتى اتأكد من انك عدت الى البيت سالمة».

«ولكن هناك اشياء يجب ان تقال. انني اشكرك، لأنك انقذت حياتي».

«لا تدرين كم عانيت امس حين اختفيت فجأة من البيت».

«آسفة، لأنني سببت لك كل ذلك الازعاج».

اقترب دومنيك منها، وجلس على حافة الفراش، واخذ يدها بين يديه قائلاً:

«سيأتي الجميع هذا المساء لكي يطمئنوا عليك. اما الآن فانك لي فقط. قولي لماذا هربت من البيت؟».

«لأنني قد اغضبتك، ولم احتمل ذلك».

«اتتصورين انني غضبت منك، لأنك كنت في بيت باربارة؟ كلا يا عزيزتي، اعرفي الآن انني لم اكن وحدي في بيت باربارة، كان نيكولا معي ايضاً».

«نيكولا؟».

«نعم. لقد طلب مني صباح البارحة، ان آخذه الى باربارة لمصالحتها. وقد شرح لي القصة كلها. فاخذته الى هناك. فاصرت كارين على معرفة سبب مجيئنا. لكن نيكولا كان فظاً معها جداً، وحين رأتك كارين هناك افرغت كل غضبها عليك. كنت غاضباً من اجلك لا عليك. بالاضافة الى انني خشيت انك افسدت على نيكولا خطته».

شعرت مورووينا بالرعشة في جسدها من هذه المفاجآت غير المتوقعة. وقالت:

«انا سعيدة لأن نيكولا ذهب اليها بنفسه».

«نعم. ووجدها تنتظره بلهفة».
سكت للحظة ثم اضاف:
«لا ادري ماذا قلت لها انت. لكن يبدو ان حديثك معها كان مهماً جداً. لقد قضيا اكثر من ساعة في الغرفة. وحين نزلا، كانت سعيدة جداً ومتعلقة بنيكولا».
ساد الصمت بينهما لبرهة، حين قطعته مورويتا قائلة:
«وما هو شعورك تجاهها يا دومنيك؟ هل تغفر لها ما ارتكبته بحقكم؟ وهل تقبلها زوجة لنيكولا؟».
«نيكولا سيد نفسه. اما بالنسبة اليها، فاظن انها نالت عقابها. انهما سيتزوجان قريباً، بعد ان اعلنا خطوبتهما الليلة الماضية».
قالت مورويتا بتردد:
«اظن ان كارين قد فرحت ايضاً بزواج عمتها».
«بدون شك. وهي تهيىء نفسها لرحلة اخرى الى كاليفورنيا».
شحب لون مورويتا. وقالت بصوت اشبه بالهمس:
«ولكن، كان من المقرر ان تعلن انت وهي خطوبتكما الليلة الماضية ايضاً».
«اعلن خطوبتي لكارين؟».
تساءل دومنيك بدهشة. واضاف ساخراً:
«من الذي قال هذا لك؟».
«هي التي اخبرتني».
«يبدو انها كانت تتحدث عن احلامها».
سحبت مورويتا يدها بلطف من يده. وهي تحدق في وجهه. فقال لها بحنان بالغ:
«انني احبك يا مورويتا. بل احببتك منذ تلك الليلة التي التقيتك

فيها على الطريق. وكان غضبي لانني اكتشفت من انت. كنا ما نزال نعيش في ذلك الوهم الخاطىء بأن والدتك قد اساءت الينا. اوه مورويتا لو تعرفين كم احببتك. لقد جننت حين اختفيت من البيت. شكراً لله لانك وضعت تلك الرسالة تحت شجرة عيد الميلاد، انذاك عرفت انك ما زلت قريبة من البيت، فاخذت مصباحي وخرجت فلمحت اثار اقدامك على الثلج، فتبعتها الى هناك».
مد يده الى جيبه، واخرج علبة مجوهرات صغيرة، فيها حلقة ذهبية، ووضعها في اصبع مورويتا، ثم رفع يدها وطبع عليها قبلة رقيقة، قائلاً:
«يا زوجتي الحبيبة!».
مدت مورويتا ذراعيها، واحاطت بهما عنقه، وهي تحدق في عينيه بسعادة، قائلة:
«سنكون معاً الى الابد...».